



القاضي إسماعيل بن علي الأكو

المدخل إلى معرفة

هجرة العلم وعافله

في اليمن

رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

القاضي إسماعيل بن علي الأكو

المدخل إلى معرفة

هجرة العالم وعافله

في اليمن

نشر هذا البحث
في الجزء الثالث من كتاب
(التربية العربية الإسلامية)
الصادر عن المجمع الملكي
لبحوث الحضارة الإسلامية
سنة ١٩٨٧ م .



الكتاب ١٠٠٧

الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه
بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة
والتسجيل المرئي والسمعي والحاسوبي
وغيرها من الحقوق

دار الفكر المعاصر

لبنان - بيروت - ساقية الجزير ، خلف الكارلتون

س.ت ٥١٤٩٧ ، ص.ب (١٣٦٠٦٤)

هاتف (٨٦٠٧٣٩) تلکس : FIKR 44316 LE

الصف التصويري : دار الفكر بدمشق

رَفَعُ

عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمُدْخِلِ إِلَى مَعْرِفَةِ
هَجْرِ الْعَالَمِ وَمَعَاذِهِ
فِي الْيَمِينِ

رقع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المقدمة :

انفردت الين في تاريخها الإسلامي بظهور (هجر العلم ومعاقله) فيها ، فكان لوجودها أثرٌ كبير في استمرار ازدهار العلوم والمعارف في الين من غير انقطاع ، وذلك لأنها كانت بعيدة عن ميادين النزاع على الحكم ، فلم يصبها ما كان يصيب المدن التي كانت تتعرض ما بين حين وآخر لمعرة الجيوش وغارات القبائل للنهب والسلب ، فتصاب معاهد العلم ومدارسه فيها بمحن كثيرة تشل نشاطها ، وتعطلها عن أعمالها .

ولقد كانت (هجر العلم) في حد ذاتها ظاهرةً عجيبةً لما تمتاز به من سمات وخصائص فريدة تلازمها منذ نشأتها

كهجرة ، ولا تنفك عنها حتى تزول عنها صفة العلم أو تتحول إلى قرية خاوية على عروشها ، وهي خصائص لا يتحلى بها أي معهد أو مركز من مراكز نشر الثقافة والتعليم في ديار المسلمين قاطبة في ما أعلم ، ولا أعتقد أن قطراً إسلامياً آخر قد حظي بما حظيت به الين من وجود (هجر العلم) على أرضها ، أو عرف نظائرها ، أو حدا حذوها في إيجاد ما يماثلها أو ما يقرب منها ، تحت أي اسم من المسميات في هذا المجال .

وما ذلك إلا لأن القبائل المنيعة في القسم الشمالي من الين كانت تتكفل بحماية (هجر العلم) التي تقع بين أظهرها ، وحماية من يسكنها من العلماء والفضلاء وطلبة العلم فلا يجري عليها ما يجري على سائر القرى والمحلات الأخرى التي يسكنها عامة الناس . وقد منحتها هذه الحماية حصانة حتى صارت حرماً آمناً . فلا يدخلها جنود الدولة ، ولا تُفتَهن فيها الحرمات ، ولا يعتدي فيها شخص على شخص آخر مهما كانت السوغات . وإذا حدث شيء من ذلك ، وهو نادراً ما يقع فإن العقوبة فيها أربعة أضعافها في غير (هجر العلم) حتى يرتدع من يفكر أو

يَخْطُرُ بباله انتهاك حرمتها بارتكاب أي خطأ صغيراً كان أو كبيراً .

كذلك فإنه كان لا يطلب من أهل الهجر مشاركة رجال القبائل في تحمل أي عبء من الأعباء المادية ، كما لا يُطلب من شبابهم للمشاركة في التجنيد وغير ذلك من الأمور التي تُفرض على القبائل فرضاً ، وإذا اقتضى الحال للضرورة القصوى ، ولزم أهل الهجر مغرم للدولة ، فإن القبائل تتحملة عنهم بطيبة نفس منها ، وذلك تكريماً وإجلالاً للعلماء وتقديراً لمكانتهم ، وإعلاء لشأنهم ، لأنهم ورثة الأنبياء^(١) ، ومحمل احترام الناس أينما حلوا وأينما ارتحلوا .

ولحرص القبائل الشديد على بقاء العلماء بين أظهرهم فإن أرزاق أهل (هجر العلم) مكفولة لهم ، ولمن يلوذ بهم من أهلهم وأقاربهم ولمن يفد إليهم من طلبية العلم من المناطق الأخرى . إذ

(١) هذا الحديث ، ونصه « العلماء ورثة الأنبياء » رواه أحمد والأربعة وآخرون عن أبي الدرداء مرفوعاً بزيادة إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم .

كانت تصرف لهم زكاة القرى المجاورة لهجرهم أو ما يقرب منها - كما سيأتي تفصيل ذلك - فيأخذون منها ما يقوم بحالهم ، ويصرفون الباقي منها على مستحقيها من مصارف الزكاة الشرعية حتى يتفرغوا للممارسة شؤونهم الخاصة ، ولا سيما القيام بالتدريس والإفتاء والتأليف ، وحلّ المنازعات بين المتشاجرين من القبائل وقسمة التركات فلا يشغلهم أمر من أمور الدنيا ، ولا يصرفهم عنها شيء من مكدرات الحياة .

وأغلب الظن أن منشأ هذه الضمانات لهجر العلم قد جاء في بادئ الأمر من الحاجة لحماية من يتجه من العلماء الطامعين في تولي الإمامة إلى مناطق القبائل اللنيعة ليدعوا منها إلى نفسه بالإمامة ، ذلك لأنه في حاجة إلى من يحميه ويمنع عنه أذى سطوة الحاكم المتربع على دست الحكم . لذلك فإن القبيلة التي نزل بين أظهرها تضطر إلى تهجيرها ، وتهجير مسكنه ، وتهجير من حضر معه من أتباعه وأعوانه أو الحقوا بعده ، وتعلن ذلك في مجتمعيها الخافل حتى يبلغ الحاضر الغائب ، فتقطع الطريق على

من يريدُ به سوءاً أو مكروهاً ليعيش في أمن واستقرار حتى يتحقق له الظفر أو يفشل .

ومع هذه المزايا الفريدة التي تتمتع بها (هجر العلم) منذ ظهورها حتى عهد قريب أدركناه ، فإنها لم تنل ما تستحقه من الدراسة حول فكرة نشأتها ، وأسباب قيامها ، وتحديد وظائفها ، حتى يكتب عنها كظاهرة اجتماعية بارزة في تاريخ الين السياسي والثقافي للتعريف والتنويه بها ، بل لم تحظ بأي اهتمام من الباحثين والمؤرخين على الإطلاق . ولولا أنني عرفت أمرها ، وعلمتُ بشأنها من خلال زيارتي المتعددة لمناطق الين المختلفة ، ورؤيتي لبعض القرى التي تحمل اسم (الهجرة) مما دفعني إلى البحث عن معرفة أسباب نشأتها ، وعوامل ازدهارها ، لظل أمرها مجهولاً ، ولما تغير في الأمر شيء ، فلقد استرعى انتباهي ظاهرة وجودها وكثرتها ، فاستأثرت باهتمامي ، وأخذت أبحثُ منذ ما يقربُ من عشرين عاماً عن سر ظهورها في الين ، وعن سبب التسمية بالهجر ، ثم دفعني حبُّ البحث إلى تتبع مواقع ذكرها في مراجع تاريخ الين ، وطبقات

علمائها ، المخطوط منها والمطبوع ، فوجدتُ أن هذه المراجع قد ظفرت بذكر كثير من (هجر العلم) استطراداً عند سرد الحوادث الحولية بأن فلاناً قد سكن (هجرة كذا) أو دعا الإمام الفلاني من (الهجرة الفلانية) أو أخرجها ، كما ورد ذكرها أيضاً استطراداً في تراجم كثير من علماء الزيدية ، بأن فلاناً ولد في (هجرة كذا) ، أو سكنها ، أو أقام فيها بعض الوقت أو عاش بقية عمره فيها ، أو أدركته الوفاة على أرضها . وورد ذكرها كذلك عند سرد مراحل حياة بعض العلماء بأنه درّس في الهجرة الفلانية ، أو ذهب إليها للتدريس . فكان هذا حافزاً لي للاستزادة من تتبع مضان ذكرها .

وقد دَوَّنتُ هذه الفوائد وغيرها مما يتعلق بهجر العلم في كتابي (هجر العلم ومعاقله في الين) فذكرت الهجرة ومكانها وتحديدته من أقرب المدن المشهورة ، وذكرت المسافة بينها ، وحالتها اليوم ، وكيف كان حالها بالأمس ، ومن الذي أسسها هجرة إن عرف ، ومن ينتسب إليها من الفقهاء والعلماء

والرؤساء ، ومن دَرَس أو دَرَّس فيها ، أو سكن أو عاش بها ، أو نزل بها لفترة قصيرة ، وترجمت لهم ، وحرصتُ على ذكر تاريخ ولادتهم ووفاتهم ، وأبرز أعمالهم ، وذكر مؤلفاتهم إن كان لهم مؤلفات ، كما ذكرتُ عند التعريف بالهجرة نوع التهجير ، الذي مُنح لأهلها فهناك هجر مهجرة ، وهي التي يشمل التهجير البلدة وسكانها ومزارعها ومراعيها حتى حدودها الإقليمية من جميع الجهات ، وعدد هذه الهجر ليس بالكثير ، وبعضها اقتصر التهجير على سكانها فقط ، وهي الغالبة ، وهناك هجر ليس لها تهجير ، ومع ذلك فإنها تسمى (هجر) .

كذلك فقد بينتُ ما هو عامر من هذه الهجر ، وما هو دارس منها ، كما ذكرت أن هجراً قد اندثرت ، وجُهل مكانها فصارت نسياً منسياً ، وأن بعض الهجر قد زال عنها أسبابُ التهجير ، وأنها صارت كسائر القرى الأخرى فلا تتمتع بما كانت تتمتع به من قبل من حماية القبائل لها لزوال صفة العلم عنها ، إما لموت علمائها ، وإما لانتقالهم منها إلى أماكن أخرى ، وربما كانت هناك أسباب أخرى لهذا التحول غير معروفة ، وحرصت

بعد ذلك على ذكر من بقي من العلماء أحياء في بعض الهجر ،
ومن منهم ما يزال يقوم بالتدريس لمن يقصده من طلاب العلم ،
ولو كان ذلك نادراً ، وترجمت لهم .

معاقل العلم

هذا ولم يقتصر اهتمامي على ذكر (هجر العلم) الخاصة في
الغالب بإتباع المذهب الزيدي فحسب ، بل تجاوزت ذلك إلى
أن شمل اهتمامي مناطق اليمن كلها ، فقد وجدت في تاريخ اليمن
وطبقات علمائه أوصافاً لقرى كثيرة منتشرة في سهولها وجبالها
وبطون أوديتها كانت معاقل للعلم ، وقامت بأدوار مهمة في
ازدهار الحياة الفكرية ، وكان لها أثر كبير في ظهور كثير من
كبار علماء الشافعية^(١) الذين اشتغلوا بنشر العلم وتدريسه ،
وتركوا ثروة علمية هائلة من ثمرات أقلامهم في شتى العلوم
والمعارف الإسلامية في الفقه والفرائض والحديث والتفسير

(١) ذكرت أفراداً من هؤلاء في هذا البحث على سبيل المثال عند ذكر قراهم ،
ولم أذكر مصادر تراجعهم ولا مصادر من ذكرتهم من العلماء المجتهدين عند
الحديث عن (هجر العلم) حتى لا أثقل هذا البحث بالخواشي وقد ذكرتها
في الكتاب .

والأصول والمعاني والبيان في عصر الدولة الرّسولية في الين ،
وانتشرت كتبهم في ديار المسلمين ، ترجم لهم مؤرخوهم في
طبقات علمائهم ، ونوهوا بذكرهم في تورايجهم .

وكانت (معاقل العلم) بما في ذلك (ربط العلم) من
الكثرة بحيث لا يخلو مخراف ولا عزلة ولا معشار^(١) من وجود
عدد منها ، إلا أني اقتصرت على ذكر أشهرها بالعلم ، وأكثرها
وروداً في كتب التاريخ والتراجم ، التي كانت عامرة بالعلم
والعلماء وطلبة العلم لأن سكان هذه المناطق كلها كانوا
- وما يزالون - يهتمون بطلب العلم والتفقه في الدين أكثر من
غيرهم امثالاً لقول رسول الله ﷺ : « من يرد الله به خيراً
يفقهه في الدين » و « طلب العلم فريضة على كل مسلم » لذلك
فقد انتشرت فيها (معاقل العلم) على نطاق واسع ، وقد أوفيتها
ما تستحق من الذكر والإشادة في مواضعها من كتابي (هجر
العلم ومعاقله) .

وكانت أرزاق العلماء وطلبة العلم فيها تجرى لهم من

(١) الخلاف أكبر وحدة إقليمية في الين ويتلوه العزلة ثم المعشار فالمسا .

الأوقاف الكثيرة التي يُحَبِّسُهَا أَهْلُ الْخَيْرِ عَلَى الْمَشَارِيعِ الْخَيْرِيَّةِ ،
التي يرجون من فعلها الأجر والثواب من عند الله ، وحسن
المآب .

وقد وصفتها وحددتُ مكانها من أشهر المدن القريبة منها
مع ذكر المسافة إليها ، وذكرتُ ما هو عامر منها ، وما اندرس
كذلك ، ومن انتسب إليها أو قرأ بها ، أو كان له ارتباط
مّا بها ، وترجمتُ لعلمائها ونوهتُ بأبرز أعمالهم وذكر مؤلفاتهم
على نحو ما فعلتُ في (هجر العلم) وأضفتُ إليها القرى الخاصة
بأصحاب مذهب الإمام أبي حنيفة في وادي زبيد وغيره .

ومع هذا فإنني لم أكتف عند وصفي للهجرة أو معقل العلم
بما قرأته أو سمعته عنها فحسب ، بل ذهبتُ إلى ما هو أبعد من
ذلك فقد زرتُ كثيراً من (هجر العلم ومعاقله) وأخذتُ لبعضها
صوراً لنشرها إن شاء الله في الكتاب الأم .

أما هذا البحث فأنا مدين لما ورد فيه من ذكر نصوص
قواعد التهجير ، وتوضيح بعض مصطلحاتها إلى الأخ الشيخ
عبد الله بن حسين الأحمر شيخ مشايخ حاشد ، الذي دلني على
مكان وجود بعضها ، كما يعود الفضل الكبير في حصولي على

كثير من قواعد التهجير المتعلقة بالقضاة بني العنسي الساكنين في جبل برط إلى الأخ العميد عبد الله بن ناجي دارس من كبار زعماء قبيلة (ذو محمد) الذي لبي رغبتني ، وأرسل إلى برط من أحضر لي صورها ، وأفادني بتوضيح معاني مصطلحاتها ، وساعدني في قراءة بعض تلك القواعد معه ، فله وللشيخ عبد الله بن حسين الأحمر جزيلُ الشكر وعظيمُ التقدير . وهناك إخوان أعزاء ، وأصدقاء كرام بذلوا جهوداً مشكورة في مساعدتي على فهم ما استغلق عليّ معرفة معناه من مصطلحات قواعد التَّهجير ، وإن كانت هناك بقية مما ذكرته من قواعد التَّهجير ، محتاجة إلى مزيد من الإيضاح . وأما فيما يتعلق بغير (هجر العلم) ، فمصدري في معرفتها المراجع الخطية منها والمطبوعة التي ذكرتها في حواشي هذا البحث وما توفيقي إلا بالله عليه وتوكلت وإليه أنيب .

الهجرة

اصطلح علماء نجد^(١) الين الذي انتشر فيهم المذهب

(١) لم تكن (هجر العلم) خاصة بنجد الين فحسب ، بل توجد حيث يوجد =

الزبيدي على إضافة (هجرة) إلى اسم القرية التي يهاجر إليها بعض أهل العلم المشهورين ليجعلوها دار إقامة لهم ، ويتخذوا منها مكاناً لنشر العلم ، ثم لا تلبث أن تكون تلك القرية مقصودة في أغلب الأحوال لطلب العلم فتشد إليها الرحال ، وتهوي إليها أفئدة الراغبين في تحصيل العلم .

= المذهب الزبيدي في اليمن ، ففي خلاف السلياني من تهامة (هجرة صمد) و (هجرة الدهنا) و (هجرة الشقيري) لأن سكان هذه الهجر كلهم كانوا زبيدية المذهب حتى عهد قريب .

وقد تحمل بعض القرى اسم الهجرة ، ولو لم يكن أهلها زبيدية مثل (هجرة بني الحداد) و (هجرة حمير) من خلاف بقذ ، وكلاهما من وصاب العالي ، وأهله على مذهب الشافعي . ولعل تسميتهما بالهجرة جاءت من الأمراء آل إسحاق الذين أقطعوا وصاب وهم من أعيان الزبيدية .

وقد تدعى بعض القرى (هجرة كذا) وهي ليست من مساكن العلماء لافي القديم ولا في الحديث مثل (هجرة زبار) من وادي مسور خولان الطيال (خولان العالية) وقد دُعيت بالهجرة لأن النقباء آل (أبو حليقة) يسكنونها ، وهم في الأصل من بني جبر من خولان ، ثم هجرتهم قبائل خولان كلها ، وصارت لهم الرئاسة عليها في السلم وفي الحرب بعد أن سكنوا زبار .

وقد يختار بعضُ العلماء مكاناً قريباً من القرية التي يسكنُ فيها ليبني له داراً عليها فيستأذن أهل تلك القرية - إذا لم يكن من أهلها - ليسمحوا له بالبناء حتى يتفرغ للقيام بواجباته من العبادة والتعليم والافتاء والإصلاح بين الناس بعيداً عن صخب مجتمع القبائل ، فيهبوا له ذلك المكان تكريماً له واعتزازاً بوجوده بين أظهرهم . ويمدونه بما يستطيعون من عون ومساعدة حتى يكتمل بناء داره ، و يقيمون له مسجداً مجاوراً لداره ، ثم يتتابع البناء هناك لمن يلتحق به من العلماء وطلبة العلم الذين يتوافدون على تلك البلدة حتى تكبر وتصير بلدة خاصة بأهل العلم فتُدعى حينئذ (هجرة كذا) مضافة إلى اسم القرية^(١)

- (١) مثل (هجرة شوكان) على سبيل المثال ، فشوكان : قرية كبيرة من بني خَيْشَنَة ثم من بني سَحَام إحدى بطون خَوْلان الطيال (خولان العالية) في مشارق صنعاء ، ثم استحدث بجوارها هجرة صغيرة بناها أسلاف شيخ الإسلام الإمام محمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ فسميت (هجرة شوكان) وكذلك (هجرة حمدة) من عيال سريحل و (هجرة عرام) من مخلاف زبيد وأعمال ذمار ، و (هجرة منقدة) من مخلاف منقدة وأعمال ذمار ، و (هجرة عرثومان) من الشاحذية وأعمال الطويلة ، وهي التي تُعرف اليوم بهجرة الشاحذية . وقد تسمى =

المجاورة لها التي نشأت في كنفها . قد تنشأ الهجرة نادراً بأيدي أهلها ، وذلك كما جاء في (أخبار الزيدية) لمُسَلَّم بن محمد اللّحجي ، فقد ذكر أن عليان بن سعد البحيري خرج بجماعة من الزيدية (المطرفية) ممن لهم عقل وبصر وهمة في حياة الحق وعلم ، وأنه قال : لقد أخذنا نفقاتنا مصرورة معنا ، ثم لا تقبل من أحدٍ قرى ولا رِفداً ، ولا نكلفهم مشقة ، ثم نختار من بلادهم مكاناً نعمره ونجعله مسكناً بين أمنعهم منعة ، وأوفاهم ذمة فإذا رأوا غنانا عنهم في دنيانا ، وحاجتهم إلينا في دينهم انتفعوا وقوي التأثير .

والهجرة لها مدلولان أحدهما لغوي ، وهو كما ورد في (تاج العروس) في مادة (هَجَرَ) بلفظ : « والهجرة - بالكسر والضم - الخروجُ من أرضٍ إلى أرضٍ وقد هاجر » ، وقال الأزهري : « وأصل المهاجرة عند العرب خروجُ البدوي من باديته إلى المَدَن ، يقال : هاجرَ الرجلُ إذا فعل ذلك ، وكذلك

= (الهجرة) باسم مؤسسها مثل هِجْرَة حَسَن سَلْمَان من مَخْلَاف وادي الحار وأعمال دمار .

كُلُّ مُخْلِ بِمَسْكَنِهِ مُنْتَقِلٌ بَيْنَ قَوْمٍ آخَرِينَ بِسَكْنَاهُ ، فَقَدْ هَاجَرَ قَوْمُهُ ، وَسُمِيَ الْمُهَاجِرُونَ مُهَاجِرِينَ لِأَنَّهُمْ تَرَكَوا دِيَارَهُمْ وَمَسَاكِنَهُمُ الَّتِي نَشَأُوا بِهَا لِلَّهِ ، وَلَحَقُوا بِدَارٍ لَيْسَ لَهُمْ بِهَا أَهْلٌ وَلَا مَالٌ حِينَ هَاجَرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَكُلٌّ مِنْ فَارَقَ بَلَدَهُ مِنْ بَدْوِيٍّ وَحَضْرِيٍّ أَوْ سَكَنَ بَلَدًا آخَرَ ، فَهُوَ مُهَاجِرٌ ، وَالْإِسْمُ مِنْهُ الْمُهْجَرَةُ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مَرَاغِمًا كَثِيرًا وَسِعَةً ﴾ ^(١) .

والمَدْلُولُ الْآخِرُ اصْطِلَاحِي ^(٢) وَهُوَ خَاصٌّ بِأَهْلِ الْيَمَنِ ، وَقَدْ عَرَّفَهُ الْقَاضِي الْعَلَامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ حَسَنِ الشَّجْنِي الْمَتَوَفَى سَنَةَ ١٢٨٦ هـ فِي كِتَابِهِ (التَّقْصَارُ فِي جِدِّ زَمَنِ عِلَامَةِ الْأَقَالِمِ وَالْأَمْصَارِ)

(١) النساء : ١٠٠ .

(٢) وَلِلْمَدْلُولِ الْإِصْطِلَاحِي مَعَانٍ أُخْرَى ، فَالْمُهْجَرُ فِي اللُّغَةِ الْحِمْيَرِيَّةِ : الْقَرْيَةُ ، أَوِ الْمَدِينَةُ ، وَالْمُهْجَرُ : الْغُلَاقُ ، وَهُوَ مَا يُفْرَضُ عَلَى الْجَانِيِّ مِنْ عَقُوبَةٍ لَمَّا صَدَرَ مِنْهُ فِي حَقِّ غَيْرِهِ ؛ إِمَّا بِالسَّبَابِ ، وَإِمَّا بِالْمُجُومِ عَلَى شَخْصٍ ، وَإِنْ حِيلَ بَيْنَهُمَا أَوْ مَا حَصَلَ الْإِعْتِدَاءُ ، أَوْ بِهِمَا مَعًا فَيُلْزَمُ عَلَى الْجَانِيِّ تَهْجِيرُ الْمَجْنِيِّ عَلَيْهِ بِتَقْدِيمِ ثَوْرٍ أَوْ خُرُوفٍ بِحَسَبِ حَجْمِ الْخَطَأِ إِلَى بَابِ بَيْتِهِ إِرْضَاءً لَهُ . وَهَذَا مِنَ الْأَحْكَامِ الْعُرْفِيَّةِ ، وَكَأَنَّهُ سُمِيَ غُلَاقًا لِأَنَّهُ يُغْلَقُ بِأَبْوَابِ الْخِلَافِ .

استطراداً في ترجمة علي بن محمد الشوكاني - والد الإمام الشوكاني - فقال : « فإنها - أي الهجرة - تُطلق على كل محل بين محلات القبائل إذا كان مهجراً بينهم عما يعتادونه من أسلاف القبائل وقواعدهم فيما بينهم ، وإنما يكون ذلك للمحلات المأهولة بالعلم والفضل والصلاح فيمتازون عن أحوال القبائل وأعرافهم ، ويكون لهم بذلك التهجير احتراماً وتعظيماً » .

وإذا كانت الهجرة قد عُمِرَتْ وسُكِنَتْ بعلماء ليسوا من أهل تلك المنطقة فإنه لا بد من الالتزام بشروطٍ تُكْتَبَ حال نشأت الهجرة ، كما ذكر ذلك مُسَلِّم بن محمد اللحجي في كتابه (أخبار الزيدية) حيث قال : « وقد كان لأهل السَّبق على المكان بوقش شروطٌ معروفة على من يجاورهم ، وذمم من القبائل التي حولهم من بني شهاب وبني مطر وجربان وغيرهم على النصرة لهم على من يتغلب عليهم في دارهم ممَّن يكرهون جوارهم » .

واشتق من لفظ (الهجرة) التَّهْجِير ، وهو اتفاق ذوي الشأن من رؤساء القبائل وزعماء العشائر على جعل القرية التي يسكن فيها العلماء والفضلاء وأهل الصلاح والتقوى (هجرة) بإصدار وثيقة تسمى (القاعدة) أو (التهجير) ، وتتضمن حماية

القبيلة أو القبائل لسكان الهجرة من الفقهاء والعلماء ورعايتهم وكفالتهم لها ، ويكتب المَهْجَرُونَ علاماتِهم أختامهم على تلك الوثيقة ، وكذلك علامات الشهود أو أختامهم ، ويعلن^(١) عن هذا التهجير في مجتمعات القبائل كالأسواق^(٢) الأسبوعية العامة ، بأن قبيلة كذا أو القبائل الفلانية قد جعلت القرية الفلانية هجرة أرضاً وسُكناً ، إذا كان سكانها كلهم من أهل العلم ومن له علاقة بهم ، ويقال لها في هذا الحال : (هِجْرَة مُهْجَرَة) وهذا أعلى درجات التهجير .

أما إذا كان سكان القرية خليطاً من أهل العلم وغير أهل العلم ، فإن التَّهْجِيرَ يقتصر على أهل العلم ومنازلهم فقط .

وقد تُهَجَّرُ بعضُ الأسر^(٣) إذا اشتهرت بالعلم والفضل

(١) يسمى هذا الإعلان (الظَّاهِرَة) ويتولى إعلان (الظَّاهِرَة) دَوْشَان القبيلة ، وهو الذي يقوم بنشر أخبارها في المناسبات كالأعراس والمآتم وغيرها من المناسبات ، فيصعد إلى مكان مرتفع حتى يراه الحاضرون جميعاً ، ثم يقول بأعلى صوته : يا من سَمِعَ الظَّاهِرَة ، ثم يذكر البلاغ المطلوب إعلانه للناس .

(٢) الأسواق الأسبوعية مهجرة من القبائل المحيطة بها .

(٣) مثل القُضَاة بني العِكَّام الساكنين في هجرة (مَرْقَب) في المراثي وفي =

والصّلاح ، ولها أثر كبير نافع في مجتمعتها لمسارعتها ومبادرتها إلى حلّ الخلافات بين القبائل ، وحسم النزاع بين المتشاجرين ، والسعي لوقف الحرب بين المتقاتلين ، وإظهار الرغبة لإحلال الوئام محلّ الخصام من غير محاباة لجانب على جانب آخر ، متحرية في ذلك الصدق والعدل والإنصاف بين الأطراف المتنازعة .

= هجرة (رَجُوزَة) في بَرَط فإنهم مهجرون من بطون بكيل كلها ، ومن بطون حاشد ، ومن قبائل صعدة : سَخَار وجماعة وهَمْدَان وخَوْلَان بن عمرو وغيرها . ويقال : إن حدود تهجيرهم - كما أخبرني الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر - يمتدّ من التربة الحمراء في أطراف الربع الخالي إلى أطراف تهامة غرباً ، ومن حدود نجران شمالاً إلى البون جنوباً ، وكلمتهم مسموعة في هذه القبائل كلها ، وحكمهم نافذ فيها ، وإذا حدثت حربٌ بين قبيلتين فإنهم كانوا يتولون قيادة قبائلهم في غزواتهم ، ويتصدون للقتال بأنفسهم إذا كان العدو من غير القبائل التي هجّرتهم ، وكان لهم صولات وجولات ضد بعض الأئمة المتأخرين ، ويأتي في الدرجة الثانية بعدهم القضاة آل العنسي أهل بَرَط وهم يرجعون في الأصول القديمة إلى مخلاف عنس ذمار . وقد تهجر بعضُ الأسر المشهورة ، ولو لم تكن من أهل العلم مثل آل الأحمر مشايخ حاشد فإنهم مهجرون من رؤساء بطون حاشد كلها ، ومن بعض بطون بكيل ، وكذلك آل حَيِّش نقباء سُفَيان فإنهم مُهَجَّرُونَ من بطون بكيل ، ومن بعض قبائل حاشد .

قواعد التهجير :

تتضمن قواعد التهجير التزام القبيلة أو القبائل بحماية (هجر العلم) التي تقع بين أظهرهم ، وحماية أهلها وأموالها من كل عدوان يحتمل وقوعه ، وكذلك حماية أسر العلم المهجرة من أي مصدر للعدوان . وتتكفل القبيلة بتوفير الأمان لمن هجرتهم ، وتحرص على سلامتهم في مسراهم ومغداهم ، وفي إقامتهم وظعنهم داخل حدود القبيلة أو القبائل المهجرة لهم ، وتمنعهم مما تمنع به نساءهم وأطفالهم وأموالهم . وإذا حدث أن اعتدى أحد على أحد من سكان (هجر العلم) فإنه يحكم عليه بأربعة أضعاف العقوبة التي يحكم بها لو اعتدى على أي شخص آخر من عامة الناس .

أما إذا حدث أن اعتدى من خارج القبائل المهجرة على أحد من أهل العلم المهجرين فإن القبيلة المهجرة تكتب إلى القبيلة التي ينتمي إليها المعتدي محتجة عليه بما صورته : « كافة رجال القبيلة الفلانية حياكم الله ، بلغ إلينا ما صدر من صاحبكم فلان إلى هجرتنا فلان ، وأوجعنا ذلك وآلنا فحكما داعيين ^(١) لكم

(١) داعيين : ندعوك لتحكوا فيما صدر من صاحبكم من خطأ .

فما صدر من صاحبكم إلى هِجْرَتنا ، فإن يصل منكم وفا وإلا
فنحن واصلين^(١) إليكم ولا نظن أنكم تقصروا » . فتسرع القبيلة
الأخرى إلى استرضاء القبيلة المهجّرة بما يتفقان عليه وإذا حصل
مماثلة من القبيلة التي ينتمي إليها المعتدي فإن القبيلة المهجّرة
تثار لنفسها ، وقد تنشأ الحرب بين القبيلتين .

كذلك فإنّ (هِجْر العلم) مصادنة مما يقع على القبيلة التي
توجد فيها الهِجْر من غزوٍ خارجي لا قبل لها بصدّه ، وإذا
استعصت هذه القبيلة على الدولة أو ارتكبت هي أو جماعات أو
أفراد منها أخطاء تستحق عليها العقوبة فأرسلت إليها الدولة
جنودها أو سلطت عليها قبائل أخرى فيما يعرف بالخطّاط^(٢)
لتأديبها فإن سكان الهِجْر لا ينالهم في مثل هذه الأحوال سوء
ولا مكروه .

(١) واصلين : قادمين ، وفيها معنى التوعد والتهديد إذا لم ينصفوا .

(٢) الخطّاط : بقاء الجنود في بيوت الأهالي وإيواءهم والإنفاق عليهم مدة
يحددها الحاكم ، ولا يرتفعون من عندهم إلا بعد أن يتحقق الغرض الذي
أرسلوا من أجله ، وبعد أن يُدفع للجنود أجورهم عن البقاء عن كل يوم
مقداراً معلوماً من المال .

وإذا كان لأهل الهجر يدٌ فيما حدث من قبيلتهم فإن القبيلة تتحمل عنهم ما يخصهم من غرمٍ مهما كان الأمر ، وذلك تقديرًا وتعظيمًا واحترامًا للعلم وأهله ، لأن القبائل كانت تعتبر (هجرة) العلم حرماً محرماً فلا يُسمح أن يقع فيها اعتداء من شخص على شخصٍ آخر ، وإذا أشهر أحدٌ سلاحه فله عقوبة معينة ، كما سيأتي بيان ذلك ، كما لا يُسمح بدخول وسائل اللهو والطرب إليها ، ولا يُطلب من أهلها المشاركة في التجنيد عند احتياج الدولة إلى فرض التجنيد الاجباري على القبائل في حال قيام حرب .

تلك هي أهم خصائص التهجير التي تمنحها القبيلة للهجرة وسكانها في قاعدة تهجيرها لها ، وهناك حقوق وواجبات على أهل (هجر العلم) للقبيلة التي منحتها الحماية والرعاية ، ووفرت لهم الأرزاق والأقوات ، وجعلت لهم تلك المكانة العالية التي تبوؤوها . فعاشوا في ظل حمايتها آمنين مطمئنين ، وهي أن يتحلوا بالصدق ومكارم الأخلاق ، وأن يسيروا في الناس سيرة حسنة ، وأن لا يصدر منهم ما يؤذي ويؤلم من فحش القول وسوء العمل بما يسيء إلى علمهم ومقامهم ، وأن لا يأخذوا

ماليس لهم فيه حق . وإذا صدر من أحد العلماء أو من أهله أو من أقرب الناس إليه إلى القبيلة نفسها أو إلى أحد أفرادها ما يؤذي فإنه يحكم على المعتدي منهم حكماً مربعاً أي أربعة أضعاف الحكم على الرجل غير العالم ، كما هو الحال في من يعتدي على المهجّرين أنفسهم ، وقد تقدم بيان ذلك .

عينات من قواعد التهجير :

هذه عينات من قواعد تهجير مشايخ القبائل ورؤساء العشائر لأهل (هجر العلم) نُثِبَتْها هنا ، كما وردت في أصولها بلهجاتها ومصطلحاتها العامية وبأسلوبها وأخطائها النحوية كالجمع بين الفاعلين وعدم مطابقة الضمائر لمدلولاتها والصفة لموصوفها ، ونصب خبر إنّ وأنّ وإبطال عمل كان وأخواتها في كثير من الأحوال ، واستبدال الوجيه بالوجوه : جمع وجه ، إلى غير ذلك من الأخطاء الشائعة الكثيرة التي لا تخفى على كل ذي فطنة ومعرفة بقواعد الإعراب ، وذلك مراعاة للحفاظ على الأساليب التي كتبت بها .

القاعدة الأولى من قواعد التهجير

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله :

أما بعد : حمد لله حق حمده ، والصلاة على سيدنا محمد وآله
فإنهم حضروا رجال ذو عمرو ، وتضامنوا أنهم مُجددين القواعد
الأولة^(١) لآل القاضي علي^(٢) بن قاسم العنسي في هجرهم
المباركة ، وحرّمهم^(٣) المعروفّة ، وهي (هجرة الرّضمة)

(١) الأولية : السابقة .

(٢) لانعرف شيئاً عن حياة القاضي علي بن قاسم العنسي ، ولاتاريخ
وجوده ، ولكنه من أعلام المئة الحادية عشر للهجرة . انتقل من (هجرة
عيان) حينما أخبرها الإمام القاسم بن محمد إلى برط . وكان آل العنسي قد
سكنوا (هجرة عيان) من عصر الإمام عبد الله بن حمزة . راجع (بهجة
الزمن) للعلامة يحيى بن الحسين .

(٣) حرّمهم : جمع حرمة ، وهي الأماكن التي يقصدها آل العنسي ، ويذهبون
إليها .

و (هجرة السّوادة)^(١) وأن من دخلها فهو آمن ، ومن فعل فيها شيء من النّكت^(٢) فإنه مربوع^(٣) عقائر^(٤) وكساً^(٥) إلا ما كان عمداً فلا يُنقّيهم^(٦) الاتّقاء ، ولتّهم في الحُرْم يُؤدّب بعقير وكُسوة ، ومن هدّ^(٧) في الحُرْم أو سلّ جنبيتّه ، أو قلب بُنْدُق^(٨) فحكم

(١) هجرة الرّضمة : في الشمال الغربي من سوق العنان في جبل بَرَط ، وهجرة السّوادة : في غرب السّوق أيضاً .

(٢) النّكت : جمع نكتة ، وهي في اللغة النقطة السوداء في الأبيض ، أو البيضاء في الأسود ، والمراد بها هنا : الأخطاء السيئة .

(٣) مربوع : أي أربعة أضعاف ، والمعنى أنه يحكم على من يرتكب جرماً بأربعة أضعاف العقوبة المستحقة عليه فيما لو ارتكب الجُرم في غير المهجر .

(٤) العقائر : جمع عقيقة ، وهي ما يلزم الجاني في حق غيره أن يقدمه من الجمال أو البقر أو الغنم ليذبح أمام باب المجني عليه ليصفح عنه ، ويكون مقدار ما يذبح بمقدار الجناية أو الخطأ ، وبمقدار المرتبة الاجتماعية للمعتدي والمعتدى عليه .

(٥) الكسا : جمع كسوة وهي الثياب الجديدة التي يلزم بها الجاني تقديمها للمجني عليه .

(٦) يُنقّيهم : من النقاء ، وهو إزالة الخطأ عن الجاني .

(٧) هدّ : أقدم على الاعتداء بالضرب أو بالطعن أو أشهر سلاحه ، وهي التهديد .

(٨) سلّ جنبيتّه : استلّ خنجره من غمده بقصد الاعتداء بالطعن ، وقلب =

الهِجْرَةَ عَقِيرَيْنِ ورأسين غَنَمٍ عَلَى مَا فِي الْقَوَاعِدِ . وَمَنْ كَسَرَ الشَّرِيعَةَ^(١) أَوْ أَبْطَلَ بِحَقِّ وَاجِبٍ ، وَلَمْ يَتَضَعْ (يَخْضَعْ) لِحُكْمِ اللَّهِ فِي بَرَطٍ وَالْمَرَاثِي فَإِنَّهُمْ أَعْوَانٌ عَلَيْهِ . وَأَنْ أَمَرَ الْقَاضِي عَلَى مَاضِي (مَاضٍ) عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِمْرَارِ آرْثَ وَمَاورْثَ^(٢) ، مَادُونِ أَمْرِهِمْ مُعْتَرِضٌ ، وَلَا يَحُولُ دُونَهُ حَائِلٌ ، وَلَا جَارٌ يَثِيتُ ، وَلَا رَفِيقٌ جَنْبٌ وَلَا زَادٌ بَطْنٌ^(٣) وَلَا شَيْءٌ مِنَ الْعَرِضِ ، وَأَنْهُمْ مُنْكَرِينَ = الْبَنْدِقُ : حَوْلُ الْمُعْتَدِي وَضَعُ الْبَنْدِيقَةِ إِلَى حَالَةٍ اسْتِعْدَادٍ لِإِطْلَاقِ النَّارِ مِنْهَا عَلَى الْمُعْتَدِي عَلَيْهِ .

(١) كَسَرَ الشَّرِيعَةَ : رَفَضَ قَبُولَ حُكْمِ الشَّرْعِ .

(٢) آرْثَ وَمَاورْثَ : وَارِثٌ وَمَمُورْثٌ .

(٣) رَفِيقٌ جَنْبٌ : هُوَ الَّذِي يُطَلَبُ الْحَمَايَةُ مِنْ غَيْرِهِ فِي الطَّرِيقِ لِتَأْمِينِهِ مِنْ اِحْتِمَالِ وَقُوعِ عَدَوَانٍ عَلَيْهِ مِنْ شَخْصٍ آخَرَ يَتَرَبَّصُ بِهِ لِلْأَخْذِ بِشَأْرِهِ مِنْهُ ، وَزَادَ الْبَطْنُ ، وَهُوَ الَّذِي يَأْكُلُ عِنْدَ شَخْصٍ يُكْنَى لَهُ عِدَاوَةٌ شَدِيدَةٌ لِشَأْرِ عِنْدِهِ وَيَبْحِثُ عَنْهُ لِلانْتِقَامِ مِنْهُ فَإِذَا فُوجِئَ بِهِ فِي مَنْزِلِهِ وَأَكَلَ مِنْ طَعَامِهِ فَإِنَّهُ أَمِنَ مِنْ شَرِّهِ لِمُدَّةِ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ ، وَيُقَالُ لِهَذِهِ الْحَالِ مَتْعَةٌ أَيْ إِنَّهُ يَتَمَتَّعُ بِحَمَايَةِ خَصْمِهِ لِلْمُدَّةِ الْمَذْكُورَةِ ، وَإِذَا لَمْ يَتَسَرَّلْهُ الْأَكْلُ عِنْدَهُ وَلَكِنَّهُ شَرِبَ فَإِنَّهُ يَتَمَتَّعُ بِالْحَمَايَةِ لِيَوْمٍ وَاحِدٍ ، وَكَذَلِكَ إِذَا وَجَدَ عَدُوَّهُ وَجَاءَ مِنْ خَلْفِهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ التَّحِيَّةَ بِمِثْلِهَا أَوْ أَحْسَنَ مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْرِفَ أَنَّهُ عَدُوُّهُ فَإِنَّهُ يَتَمَتَّعُ بِالْحَمَايَةِ لِيَوْمٍ وَاحِدٍ ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ لَا يَمْنَعُ مِنْ قَبُولِ حُكْمِ آلِ الْقَاضِي عَلَى أَيِّ شَخْصٍ ، وَلَوْ كَانَ مِنْ تَنْطَبِقٍ عَلَيْهِ هَذِهِ الصِّفَاتُ كُلُّهَا أَوْ بَعْضُهَا .

الْمُنْكَرَ وَمَزِيلِينَ لَهُ ، وَأَنَّهُمْ عَلَى مَنْ ظَهَرَ الْمُنْكَرَ عِنْدَهُ أَعْوَانٌ قَاضِيٌ
أَوْ غَيْرُهُ . وَأَنْ جَاءَ الْقَاضِيُ عَلَى مَاضِيٍّ ، وَأَنْ رَفِيقَهُمْ آمَنَ لَوْ عَلَيْهِ
مِنَ الْحِجَجِ ^(١) مَا عَلَيْهِ ، وَأَنْ مَنْ فَعَلَ شَيْءً مِنَ النُّكَتِ أَوْ مِنَ
الْأُمُورِ الَّتِي لَا تَصْلُحُ فِي (الْهَجْرَةِ) أَوْ جَانِبِ أَهْلِهَا أَوْ فِي مَا كَانَ
مِمَّا يَلُودُ بِأَهْلِ الْهَجْرَةِ كَأَنَّ مَنْ كَانَ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا ، أَوْ عَزِيزًا أَوْ
هَيْنًا أَوْ قَاضِيًا أَوْ غَيْرَهُ يَكُونُ مِنْ آلِ الْقَاضِيِ عَلَى أَوْ مِنْ عَظَمَتِهِمْ
أَوْ مِنْ خَارِجٍ فَإِنْ مَنْ فَعَلَ كَانَ فِي وَجْهِهِ ضَمَنُهُ (الْهَجْرَةُ) وَكَانُوا
آلَ الْقَاضِيِ عَلَى ثِقَةٍ قَوْلٍ مِنْ قَالُوا هُوَ الْغَرِيمُ ، هَذَا فِي الْمَهْمِيِّ
وَالْمَتَّهِمِ ^(٢) ، وَأَمَّا مَا ظَهَرَ فَعِنْدَ أَهْلِ الْهَجْرَةِ تَرْبِيعَةٌ ، وَلَا يَنْقِيهِمْ
إِلَّا تَقَا ^(٣) وَلَا يَقْبَلُ قَوْلَ الْمُبْطِلِ ^(٤) مِنَ الْقَضَاةِ عَلَى الْحَقِّ مِنْهُمْ
الْمُنْصَفُ مِنْ نَفْسِهِ بِالشَّرِيعَةِ بَلْ يُجْبَرُ الْمُبْطِلُ بِالْقَنْوَعِ

(١) الْحِجَجُ : جَمْعُ حِجَّةٍ بِكَسْرِ الْحَاءِ ، وَهِيَ الْخَطَأُ أَوْ الذَّنْبُ .

(٢) الْمَهْمِيُّ : الْخَفِيُّ ، وَالْمَتَّهِمُ : الشَّخْصُ الَّذِي لَمْ يَثْبَتْ عَلَيْهِ أَيُّ خَطَأٍ .

(٣) وَلَا يَنْقِيهِمْ إِلَّا تَقَا : أَيُّ لَا يَمْحُو عَنْهُمْ الْخَطَأَ ، وَيُزِيلُ عَنْهُمْ وَصْمَةَ الْعَارِ إِلَّا

رَجُلٌ طَاهِرٌ الذِّيلُ ، وَهُوَ مَا يَعْبَرُ عَنْهُ بِأَنَّهُ أَيْضُ الْوَجْهِ .

(٤) الْمُبْطِلُ : الْمَمْنُوعُ مِنْ قَبُولِ الْحَقِّ عَلَى نَفْسِهِ .

والاتضاع للشرعة فيما نشأ بين القضاة بين ، ولا له (هجرة)
حتى يتضع للحق^(١) .

وأما قواعد (الهجرة) فعل عوائدها^(٢) القديمة صحيحة في
وجوه أهلها لا تُقرن بشرعة ، ولا يقبل فيها معروض ، بل على
ما ذكر في هذا . ومن فعل في الهجرة شيء من النكت من القضاة
فكان مثار^(٣) الهجرة عليه حق ، ولا له أخ ، ولا صاحب من
القضاة وكان رسول آل القاضي آمن أين صار ، ومقام الشرع
لا فيه هذه ولا خُصمة وأن الجيرة^(٤) لهم إذا تجورهم^(٥) ومن تجور
منهم فلا عليهم جيرة ويوم أحد يعيبهم^(٦) في رفيقهم وسيرهم
فكان النقا على الهجر وفي وجوه الضمنا .

(١) يتضع : يخضع .

(٢) عوائدها : عاداتها .

(٣) مثار : الإثارة .

(٤) الجيرة : الجوار .

(٥) تجورهم : استجار بهم ، أو رغب في جوارهم .

(٦) يعيبهم : من العيب وهو الغدر .

ثم ساقَت قاعدة التهجير أسماء الضُّمنا عن أنفسهم وعن قبائلهم ، ثم أضافت ما لفظه : وما وقع في جانب القضاة فهو وجيه [وجوه] الضُّمنا على ما ذكر في القاعدة خشر^(١) ، ومن فِسل^(٢) من الضُّمنا والعياذ بالله - كان بَقِيَّة الضُّمنا الجميع عود في النقا ، ولا نقاضمين ينقي ضمين^(٣) وكان القضاة عند الأبيض^(٤) وتقاطعوا الجميع على أن هَجَار^(٥) آل القاضي علي بن قاسم لهم أين ما كانوا ، ولا بَرًا يبري إذا أحد من الأخماس ابتري من الهجرة كان براه صحتها في باقي الأخماس^(٦) حسب عرفهم وملزمهم .

(١) خَشَرَ : أي أن التعهد عام على جميع الضمنا .

(٢) فِسل : تخلى عما التزم وتعهد به .

(٣) ولا تقاضمين ينقي ضمين : أي إن الضمين المعتبر لا يستطيع أن يبرئ ضمينا آخر مما لحقه من وصمة العار .

(٤) الأبيض : يُكنى به عن الشخص الذي لا يخيب في أداء ما التزم به .

(٥) هَجَار : جمع هجرة .

(٦) الأخماس : هي أخماس (ذو محمد) وهم خميس ذو زيد بن سُوَيْدَان بن محمد بن غِيلَان ، وخميس ذو موسى بن سُوَيْدَان . ثم آل أحمد بن سويدان ، وهم ثلاثة أخماس خميس آل أحمد بن كُول بن أحمد بن سويدان ، وخميس آل صلاح بن كُول . خميس آل دُمَيْنة بن كُول .

وهذه القاعدة تجديد للقاعدة الأولى [الأولى] والضمان الأول على حاله ، وهذه زيادة في التأكيد بحضر الشهود : شهد بذلك محمد بن جميل زيدان ، والحاج هادي القحّم السّفياني والشيخ صالح محمد زياد المرّاني^(١) والقاضي أحمد بن محمد حسين العنسي ، والقاضي حسين بن أحمد بن عزّ الدين بتاريخه ربيع الآخر سنة ١١١٢ هـ .

وهذا منقول عن خط الصنوّ القاضي العلامة أحمد بن حسين بلفظه : وأنا شاهدٌ على النقل ، وضمان الضّمان المذكورين وقت كتابة الصنوّ في مجمع كبير في (هجرة الرضّة) وبه إلحاق بخط القاضي أحمد بن علي بن محمد في قفا^(٢) القاعدة بخط يده أن من أدخلوا آل القاضي علي في الضمان الهجر للقضاة فإن الضمان والهجرة لهم بتاريخه . هذا منقول من القاعدة اللفظة باللفظة من غير زيادة ولا نقصان فليثق بذلك كل واقف عليه ، وبالله الثقة والحوّل والقوة ، وويل ثم ويل لمن خالف هذه القاعدة

(١) المراني : نسبة إلى قرية مرانة وهي في المراشي تحت جبل تان .

(٢) القفا : ظاهر الورقة .

الموضحة المبسوطة للقضاة الشيعة ، فما بعد الحق إلا الضلال والنكال .

نُقلت في محروس (هجرة الرضمة) المباركة يوم الجمعة المباركة لعله السادس عشر شهر جمادى الآخرة سنة ١١٩٨ كتبه الفقير إلى الله السيد يوسف بن محسن لطف الله به .

وكانت حدود الهجرتين المباركتين حسب هذه حدود (هجرة الرضمة) قبلياً [شمالاً] وادي الغرايين ، وغريباً الجربة المسماة المخلاصة ، ويمنا (جنوباً) وشرقياً أملاك آل عُمير بن علي .

وحدود (هجرة السوادة) قبلياً وشرقياً الطريق المارة إلى السوق ، والوثن المؤسس المعلوم ويمانياً (جنوباً) وادي الغرايين المحيط بأملاك القضاة .

يعلم ذلك كل واقف عليه بتاريخه المتقدم . كتبه الحقير يوسف بن محسن لطف الله به من الأصل اللفظة باللفظة وبعد هذا ما لفظه : الحمد لله ، وكذلك بخط القاضي العلامة

يحيى بن يوسف مرقوم ظاهر القاعدة المذكورة مالفظه : حضر
الذي حضر من قبائلنا ذو محمد ، وأجازوا الضمان باطن القاعدة
بعد أن جرت النكتة من الشامي الذي قد كان أخذ الفرس وردّه
النقيب ناجي وقبائله ذو موسى ، وردّ صاحب الحجّة إلى عند
آل القاضي علي بن قاسم ولا ثبت عليهم الملزم ولا سيّره ولا رفقّه
ولا عرضه حسبما ذكر باطن القاعدة ، وأدوا العقائر والأحكام
للهمجر جميع ، وستر الهمجر جميع لآل القاضي علي بن قاسم وعقيرة
التّهمة والكسوة التي لاتبان (تظهر) إذا حلف كانت على ذو
محمد بحضرة أحسن بن عكمان وأحمد بن علي الخيواني ، ومحمد بن
علي بن عبد الله ، ومحمد بن علي بن مهدي ، وحسين بن عبد
الله ، ومحمد أبو جشاش ، وعدة من الناس ، وشهادة القاضي
أحمد بن حسين بن شمة بخط يده بتاريخه غرة ربيع الآخر سنة
١١٦٢ كتبه يحيى بن يوسف لطف الله به وبعنوان القاعدة
مالفظه : هذا رقم (نص) القاعدة كما ذكر بصفتها فيعتمد
بتاريخه يوسف بن محسن لطف الله به .

وقاعدة أخرى ، هذا لفظها : الحمد لله تعالى : اطلعت على
قاعدة بيد المتسكين بها من القضاة آل علي بن قاسم العنسي

عليها طوابع (أختام) وعلائم من (ذو محمد) حكمها (نصها) :
هذا وجيئنا بيد قضاتنا أن قاعدة الهجرة حسبها تضمنت عليه
وحسب ضمان أبوتنا (آبائنا) وجدودنا فيها بيدهم تجددوها
الليالي والأيام ، وكانت في وجوه أهل الشهر . تدور الهجرة مع
السُّوق إذا وقع شيء في جناب القضاة وهجرتهم فكان مولى^(١)
الشَّهر يقوم في ذلك ، وكانت هذه تجدد [تجديد] الهجرة
و ضمانها على ما فيها صحيحة ما يخر بها شيء إلى وجيه ضمانها
حسب قاعدة القاضي علي العنسي ، وهذه بولاء (ذو محمد) إلى
وجيه أهل الطوابع غصّابة على أهل الشهر أنهم حاملين هجرتهم
والطوابع غصّابة .

صحّت هذه لأهل (السوادة) و (الرضمة) بتاريخ شهر
القعدة سنة ١٢٦٧ .

وكان من أُبْتَرَى (أعلن التخلي عما التزم وتعهد به) من

(١) كانت أخماس « ذو محمد » تتناوب على حكم السوق والطرق المؤدية إليه
فكل خميس من أخماسها يتولى شؤون السوق وحفظ الأمن فيه لمدة شهر ،
ويسمى (مولى الشهر) .

هذه فكان مولى الشهر يُدْرِكُه [يلزمه] ، ومولى الشهر مُعْنَى [مُلْزَم] بذلك ، ويوم ما يقوم مولى الشهر فكان الأخماس الأخرى يردوه المُخْلَف يَقُومُوا آل أحمد بن سويدان ، وآل أحمد بن سويدان يَقُومُوا المُخْلَف [وهم ذو زيد وذو موسى]^(١) .

وهذا بخط عبد الله بن حسين بن ثوابة عليها طابع المذكور ، وطابع محمد بن دَمَّاج ، وطابع حسن بن مفلح بن عمير طَشَّان ، وطابع أحمد بن مقبل البحر ، وطابع من آل أبو رأس ما افتهم [أي لم يفهم اسمه] وتحتة علامة حسين بن علي بن جمعة ، وطابع أحمد بن ناجي بن مَيْنَه ، وطابع محسن بن حسن بن صوفة ، وعلامة يحيى بن قاسم مِرُوس ، وعلامة أحمد بن ناصر الرِّزْزِيقِي ، وعلامة صالح بن حسين المعِيزِي ، وطابع سرور بن منصر بن جَزَيْلَان ، وطابع محمد بن يحيى بن أحمر الشَّعْر ، وعلامة محمد بن قايد بن عزيز شَمْلَان ، وعلامة حسين بن هادي المعالم ، وطابع كأنه محمد بن حسين شَذِيَّان ، وعلامة صالح بن جلهم ، وعلامة عبد الله بن أحمد

(١) المُخْلَف هم ذو زيد وذو موسى : فقد تحالفا على بقية الأخماس الثلاثة .

قُمْشَع ، وعلامة مرشد بن علي الشيبة وطابع ما افتهم [أي لم يفهم الاسم] وعلامة علي بن حسين قَمْلان المنصوري ، وعلامة أحمد بن حسين مَدْشَل .

وتحت الطوابع والعلام : صحت هذه لآل علي بن قاسم جميع الساكنين في الرضمة والسوادة والمتنقلين فيها بخط عبد الله بن حسين ثوابه في مجمع ذو محمد بتاريخه . وتقل الأصل بقلم الحقيّر أسير الذنب والتقصير علي بن عبد الله بن حسين ثوابه غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين .

وكان النقل مثل الأصل من غير زيادة ولا نقصان بعد التحري والتقصي . وتاريخ النقل ١٨ شهر جمادى الآخرة سنة ١٣١٤ علي بن عبد الله ثوابه وبعبوانه ما لفظه : الحمد لله يعتمد هذا النقل المطابق بخط النقيب الجمالي علي بن عبد الله ثوابه عن قلم والده الحاج الفخري عبد الله بن حسين ثوابه فله حكم أصله . يعلم ذلك بتاريخه شهر شعبان سنة ١٣١٤ وصلى الله على سيدنا محمد وآله ، وعليه توقيع المهدي^(☆) لدين الله لطف الله تعالى به .

(☆) هو المهدي محمد بن قاسم الحوئي .

القاعدة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله

لما كان يوم الخميس لعله رابع يوم في شهر جماد أول من سنة
سبعين وألف سنة حضر من سنذكر أسماءهم في هذه القاعدة من
القضاة وآل صلاح بن كؤل والمعاطرة ، وهم القاضي علي بن
حسين ، والقاضي حسن بن حسين ، والقاضي صالح بن
حسين ، والقاضي محمد بن حسين العنسيون . وتواثروا^(١)
لقضاتهم آل حسين بن قاسم ، صلاح بن ومعطري ، أنهم قضاتهم
وهجرتهم ، وجعلوا إليهم هجرة محترمة ، وأنهم مهجرون

(١) تواثروا : وضعوا أساس اتفاق بينهم ، والكلمة من وثر أي وضع أساس
البناء الذي يقال له الموتر .

مُعْظَمُونَ مُحْتَرَمُونَ هم وهجرتهم ، وأنهم قضاتهم ثَرَى وَثْرِيَا ^(١) ،
وَحَدَّ ^(٢) هجرة محلهم من الغرب البير المساه (الجديرة) ومن
الشرق (طرف الطويلة) ، ومن الين (دار الشَّقْمَا) ومن
القبلة (رأس السبيل) الخارج إلى المعاطرة .

ومن خرج إلى أي أوطان آل صلاح بن كول ، أو أي
أوطان المعاطرة من أهل الهجرة وعمر له بيتاً أنه مَجَلَّلٌ مُحْتَرَمٌ ،
وَأَن لَهُ حَرَمٌ مِثْلُ الهجرة في (السَّرْعَة) ^(٣) وَأَن مَا جَرَى فِي الهجرة
من فعل أَوْ هَدَّةٌ كَانَتْ بَعِيبُ الضَّمْنَا الْآتِي ذَكَرَهُمْ ، وَكَانَتْ فِي
وَجِيهِهِمُ الْعَقَائِرُ جَزُورٌ حَسْبَا سِيَأْتِي ذَكَرَهُ ، وَيَفْصِلُهُ مِثَارٌ يَظْهَرُ
وَكِسَاهَا ، وَمَنْ فَعَلَ شَيْءٌ مِمَّا ذَكَرَ فَلَا لَهُ جَارٌ وَلَا عُرْوَةٌ ^(٤)
وَلَا اعْتِرَاضٌ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، وَأَنَّهُمْ مَهْجَرُونَ ذَلِكَ . وَمَنْ فَعَلَ فِي هَذِهِ

(١) ثرى وثرى : كناية عن مدة حياة البشر على وجه الأرض .

(٢) حد هجرتهم : أي حدودها .

(٣) السرعة : هجرة في برط .

(٤) العروة : ما يقدم لأهل العرس من أقربائهم أو أصهارهم من غنم وحب

وسمن حينما يحضرون للمشاركة في هذه المناسبة .

الهجرة شيء فعلية المثار^(١) والأحكام في ذلك . وما وقع في آل
القاضي حسين بن قاسم أو في أموالهم من أي القبل أو من
صلاحي أو معطري كان في وجيه الضمنا ، العَمْدَة^(٢) مربعة ،
والخاطية برأسها^(٣) ومن فعل خاطية أو عَمْدَه إلى ما ذكر كانت
حملة هو ولحمته في وجيه الضمنا .

ومن جرى منه فعل كان هو المقدم بالقيام بحجته في وجيه
ضَمَنَاه . وكان في وجيه الضمنا تنفيذ الشريعة المطهرة أعزها الله
تعالى وتهجير مقامها ، وتجليله في الهجرة ، وأين مازال في بلاد
أهل الهجرة صلاحي ومعطري وإن خرج إلى غير ذلك استحکم
لنفسه فيما يهجر مقامه ، وينفذ حكم الله ، والقضاة مقررون على
الشريعة لهم وعليهم ، والجيرة لهم والاستجارة لا عليهم . والقضاة
عليهم القيام بالواجبات والطاعات لله جلّ وعلا ، والأمر

(١) المثار : أسباب الإثارة للخلاف .

(٢) العمدَة : الفعل العمد .

(٣) الخاطية : فعل الخطأ ، والمعنى أن عقوبة العمد أربعة أضعاف العقوبة التي
يحكم بها في غير الهجرة ، وأما فعل الخطأ فالعقوبة فيه بمثلها .

بالمعروف والنهي والمنكر ، وإذا بدا لهم تأديب أو نحوه إلى
مقابل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أوجب الله فليس
عليهم مثار ، وأن المثار لهم في ذلك لا عليهم .

وإذا بدّر من أحد من الأطراف كلام لا يليق إلى أحد
القضاة فليس عليهم اعتراض ، وأمرهم نافذ من حبس وتأديب
على ما يقتضي الحال من غير إجناف فيما كان^(١) ... إلى قبائلهم
المهجرون لهم . والضما من آل صلاح بن كول :

الشيخ علي بن هادي أحمر الشعر ، والشيخ محمد بن هادي
دماج ، والشيخ صالح بن محمد أبو عذبه دماج ، والشيخ
مهدي بن طبّيزه ، والشيخ علي بن محمد جميل ، والشيخ محمد ابن
جابر بن ضبعه ، والشيخ ناصر بن مجلّد ، والشيخ قاسم بن
نجده ، والشيخ محمد المعالم ، والشيخ علي بن محمد عجلان ،
والشيخ علي بن مُتعب .

هؤلاء الضما على رجال آل صلاح بن كول خشر .

(١) لم أتمكن من قراءة ما في الفراغ في الأصل فأبقيته خالياً .

والضما من المعاطرة :

الشيخ علي بن أحمد يعقوب ، والشيخ غانم بن محمد
كُزْمان ، الشيخ محمد بن علي ابن محمد جميل ، والشيخ علي بن
صالح أبو ريفه ، والشيخ صالح بن أحمد جعران ، الفقيه
محمد بن هادي ، والشيخ غانم بن علي بن قطينه ، والشيخ
صالح بن علي دُلْكان ، والشيخ صالح بن علي عكان ، والشيخ
محمد بن هادي الضويني ، والشيخ ناصر بن جبران ، والشيخ
محمد بن علي بن صعيب ، والشيخ محمد بن ناوي ، والشيخ
محمد بن عبيد بن عجلان .

هؤلاء هم الضما على المعاطرة خَشَر .

ومن ذوناجع الشيخ علي بن جابر ، والشيخ دايل
الحشبول خَشَر علي ذوناجع ، ومن دخل هذه الهجرة وهو
خايف فهو آمن ، وما وقع فيه بعد أن يدخل الهجرة كان في
وجيه الضما المذكورين ، أو وقع فيه ، وما يلزم المشار يعلم
ذلك كل واقف عليه بحضور الشهود . شهد بما ذكر السيد
حسين بن محمد البركاني ، وشهد السيد صالح بن محمد البركاني ،

وشهد بذلك علي بن محمد بن جعلان الشرجي ، وشهد بذلك هادي بن جابر^(١) وشهد عمير بن محمد بن محمد بن عمير ، وشهد علي بن ناصر بن عمر ، وشهد الحاج علي بن عبد الله بن غبيش بن علوان ، وخلق كثير ، والله خير الشاهدين .

وكتب وشهد السيد علي بن محمد البركاني عفا الله عنه .
وإذا وقعت هدة في مقام الشريعة كان قاضي الشريعة له الحبس والتأديب ، وقوله مقبول في ذلك كله ، وإذا بدر هدة إلى أحد القضاة ، وكانوا فالقاضي مقبول على ما وقع فيه مع يمينه .

نعم حضرو آل صلاح بن كول ورجال المعاطرة ، واستطلعوا على هذه القاعدة ، وأوجبوا الجميع ما ذكره من هذه القاعدة من القول والضمان ، وأجازوها جميعاً بتاريخ شهر جماد .

في مجمع خلق كثير شهود على عرض هذه القاعدة منهم

(١) لم يظهر ما في الفراغ في الأصل فأبقيته خالياً .

النقيب صالح البحر ، والنقيب مفلح بن صالح بن عمير ،
وحسن بن حسين بن عمير . والله خير الشاهدين .

هذا مجمعهم في بطحا الدار يعلم ذلك بتاريخ شهر جماد آخر
من سنة ١١٨٥ .

النقيب منصور بن مهدي بن أحمد

تعميد هذه القاعدة ونصه : « الحمد لله » .

أطلعنا الولد القاضي عز الإسلام محمد بن حسين بن حسن
على هذه القاعدة فالواجب على أهل الهجرة والضما تنفيذ
القاعدة والذب عن الهجرة ، وما حدث من كل قاذي يصلها
حسبا رقم بتاريخه شهر القعدة سنة ١٢٣٧ .

محمد بن يحيى بن عبد الله وفقه الله

القاعدة الثالثة

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم حضروا لدى آل صلاح بن كَولُ والمعاطرة ، وذو عمر ، ولم يعذروا الجميع سيدي القاضي العلامة صفى الإسلام أحمد بن صالح بن أحمد حماه الله للقيام والانتصاب في الهجرة للشريعة المطهرة وفَرَاعَة (جمع فارع ، وهو الذي يقوم بالفصل بين المتضاربين) بينهم بالوجه الشرعي ، وإحياء الهجرة ، وكان مجلل محترم مهجر على قاضي وقبيلي هو ما يلوذ ويعوره ^(١) وماله ورسله وعياله وما يعيرهم مَرَبَع بعد النقا ، وموقفه مجلل محترم .

وهذه القاعدة يختص بها من غير تهجير الهجرة ، ولا يقاس به غيره ، وكان مهجر مجلل محترم في الهجرة وأينما زال ^(٢) ، ومن هذَّ وإلا مدَّ في موقفه عيب الضمنا ، وإذا زال لطلب شريعة بين غير أهل هجرته صلاحه ومُعْطَرِي استحکم لنفسه بضمان في

(١) يعوره : يلحق الضرر بأهله .

(٢) أينما زال : أينما ذهب .

مقام الشريعة . ويوم يقع شيء فكان ضمنا الشريعة المقدم صوان^(١) لضمان القاعدة حق هجرته إن قاموا بما وَثَّروا وإلا دعوهم ضمنا القاعدة ، وثاروا عليهم ، وكان أمره نافذ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على قاضي وقبيلي وجار^(٢) وكان قوله مقبول فيما نهى عنه وأمر به . وما وقع في جنبه أو جنب من يلوذ به من غير كلام أو غيره عيب ضمنا القاعدة .

وكان المتشاجرين الذين يأخذوا الشريعة عنده إذا أحدهم تغلب بعد الحكم فُتِّهَاهُ^(٣) ديوان المام^(٤) وما وصل من ديوان المام اعتمد ، ولا عليه عتب ولا حرج ولا تقض في هذه القاعدة بل فوق كل ذي علم عليم ، وأهل الطوابع والعلام غصابة وتأكيده للضمان فيما ذكر إلى وجيه الضمان وصوانه لضمان القاعدة التي تجمع القضاة ضمان المعاطرة : مقبل بن يحيى بن يعقوب ، ومحمد بن هادي بن

(١) صوان : اسم فاعل من صان يصونه إذا وقاه من فسخ القاعدة .

(٢) الجار : من يعيش في جوار القبائل .

(٣) منتهاه : مرجعه .

(٤) المام : اختصار الإمام .

أحمد ، وصالح بن محمد الفقيه ، ومحمد بن حسين^(١) ...
ومبارك بن محمد بن رشيدة ، وصالح بن زاهر على أهل
المشرق ، ومحسن حسن على أهل برط . ومحمد بن ناصر ،
وحسن بن عبيد ومرشد بن هادي بن جعمان الجميع خسر ضمان
آل صلاح بن كول ، والنقيب محسن بن حسن مهدي ،
وعبد الله بن يحيى بن مقبل بحَيْح ، وقايد بن عزيز شملان ،
ومهدي بن ناصر قناف ، وعلي بن ناصر عبْشه ، ومفرح بن
مهدي بن عجلان ، مصلح بن مصلح بن صوفه ، وعلي بن محمد
خرسان ، ومنصور بن ناصر ملْقاط وحسين بن محمد بن
قراشي ، وعلي بن قبوع ، وهادي بن صالح بن قطيم ، وعلي بن
صالح بن داود ، ويحيى بن حسن بن شذيان ، خْشَر ، ولزم
ما ذكر في جمعهم . بحضر الشهود ، والله قبل خلقه . شهد الشيخ
محمد بن هادي بن يعقوب ، وشهد الشيخ محمد بن حسين ، وشهد
الشيخ قائد بن عزيز شملان ، وشهد النقيب محسن بن حسن
مهدي ضمن شاهد ، وخلق كثير أهل الطوابع النقيب مهدي بن
حسين ، ومحمد بن هادي بتاريخه شهر ذو القعدة سنة ١٢٣٨ .

(١) لم أتمكن من قراءة ما في الفراغ في الأصل فأبقيتها خالية .

القاعدة الرابعة

تهجير حاشد لآل العكام

وهذا تهجير من رؤساء ومشايخ حاشد للقاضي عبد الله بن محمد العكام وأولاده وأصحابه ونصه :

المرسوم الصحيح النافذ ، والتهجير الصريح شاهد بيد سيدي المالك الهمام فخر^(١) الإسلام والدين القاضي عبد الله بن محمد العكام وأولاده وأصحابه القضاة بني العكام هجرتنا وبركتنا . وأن لهم التكريم والميزة والكرامة ، وأنهم آمنين بأمان الله سبحانه وتعالى ، وأمان رجال حاشد . الجميع صريمي وعصيمي وخارفي وعذري ومعمري . وذلك في أرض وبلاد وأسواق وأهجار وطرقات وأموال في بلاد حاشد الجميع مجللين

(١) فخر الإسلام يطلق على من اسمه عبد الله .

محترمين ما ينالهم سوء ولا مكروه ، لا هم ولا خاطرهم
ولا مسايرهم ، ولا رسولهم ، وأن لهم الشفاعة مقبولة ، وجاههم
مقبول .

وكان ذلك في وجيه أهل الطوابع والعلام كل أحد على
قبيلته ولحمته وحبله . وكان هذا برضى واختيار فليثقوا بهذا ،
وبالله الثقة ، وحسبنا الله ونعم الوكيل . تم ذلك بتاريخ شهر
صفر الظفر سنة ١٣٠٨ هـ .

هذا علام رؤساء حاشد وخواتيمهم .

القاعدة الخامسة

وبعد حمد الله حق حمده وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله .

وبعد ... إنه يوم الخميس لعله في شهر صفر الظفر سنة ١٢٦٢ حضروا لدينا قبائلنا أهل بالحسين الجميع ، والحاضر منهم أجاز عن الغائب ، وأشهدوا الله ومن حضر من عباده بأنهم أدوا الضمان الصحيح للفقهاء بني الأكوع^(١) الجميع ، وذلك تجددوا مابأيديهم من التهجير ، وذلك هجرة مجللين محترمين لا ينالهم سوء ولا مكروه آمنين ، بأمان الله ، وأمان المهجرين حسبما

(١) لآل الأكوع قواعد تهجير كثيرة من قبائل مرهبة وغيرها ، ولكنها ضاعت بعد خروج أكثرهم من هجرتهم (هجرة الملاحه) في مرهبة في فترات متقاربة ومتباعدة ، وتفرقهم في معظم مدن اليمن ، وقد بقيت بقية من قواعد التهجير عند بعض آل الاكوع الساكنين في مرهبة ، وبقيّة عند بعض آل الاكوع الساكنين في جبل السوق من أنس ، وبعد الإلحاح بطلبتهم حصلت على وثيقتين إحداها المذكورة هنا أمدني بها الأخ العميد محمد بن علي بن عبد الله الأكوع . والآخر لم أتمكن من قراءتها وقد أمدني بها الأخ عبد الله بن حسين الأكوع المرهبي .

مضى عليه أبائهم وأجدادهم ، وأنهم آمنين في طرقاتهم وسوايحهم^(١)
لا يغيّر عليهم حال ، ولا يُكدر عليهم عدال^(٢) ولا معدول ، بل
هم في أمان الله ، وأمان أهل الوجيه على شرع قانون التهجير .
وإذا علم الله سبحانه وأحد أذاهم في الطريق أو في سوق أو غيره
فكانوا أهل الوجيه قائلون على وجيهم وتهجيرهم يقوموا
ويثوروا من غير ترزيه^(٣) ولا ضمان . ولا يتخاطبوا بما يخاطبوا
به القبائل ، وكانوا هجرة : بيوتهم وأموالهم وقراشهم^(٤) وخذّامهم
أوفي^(٥) ... بل هم في ظل الله سبحانه ، وظل أهل الوجيه ممّن
سيأتي ذكرهم ، وهو الشيخ يحيى بن منصر العتيبي ، والشيخ علي
مرشد الحيدري ، والشيخ مصلح صليح ، والشيخ ناصر بن أحمد
مثنال ، والشيخ أحمد ناجي كليس ، والشيخ صالح بن علي

(١) سوايحهم : جمع ساحة وهي جمع القبيلة .

(٢) العدال : تقديم ضمان ، وغالباً ما يكون سلاحاً ليرهن المقدّم له على قبوله
التحكيم ورضاه به .

(٣) ترزيه : ضمان وعدال .

(٤) القرّاش : الدواب من خيل وبغال وحمير وأنعام .

(٥) الفراغ الموجود هنا لم نتمكن من قراءة الكلمة الموجودة في الأصل .

الحشار ، وأحمد ناشر ، وقاسم بن إسماعيل الغاوي ، والشيخ
حزام الغزي ، وكل بني حسين ، ذكر على قبائلهم أهل
بالحسين ، الجميع برأيهم ، الجميع ، يحضر من شهد ، والله خير
الشاهدين . بتاريخه شهر صفر سنة ١٢٦٤ المحسن بن يحيى
حنش . وشهد الشيخ صالح بن محسن دبلان ، والشيخ أحمد
محسن بن راوع ، وشهد قاسم بن علي جابر ، وشهد الصنو
عبد الله بن علي حنش ، وشهد النقيب محمد بن صالح النجار .

كتب وشهد يحيى بن حسين أنعم لطف الله به .

وفي أعلى القاعدة تعמיד ، وهذا لفظه : بعد أن اطلعنا على
مابأيدي الفقهاء بني الأكوع من التهجير أدنى هذا فحضر قبائلنا
أهل بالحسين الجميع أحمدى ومحمدى وصححو التهجير بحضور
قبائلنا أهل بالحسين ورضاهم بتاريخ سنة ١٢٦٦ .

وعليها علامة غير معروفة .

القاعدة السادسة

أنموذج من تهجير الأئمة

كتب الإمام الناصر الحسن^(١) بن علي بن داود تهجيراً
لساكني (هِجْرَة بني يَعْمُر)^(٢) :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتفضل بالنعمة قبل استحقاقها ، المتكفّل لعام
الموجودات بهني أرزاقها ، الذي مَنّ علينا بأن جَعَلَنَا للمكارم أهلاً ،
وسلكَ لنا إليها سبيلاً سهلاً ، وهدى بنا إلى الصُّراط المستقيم من هو

(١) الإمام الناصر الحسن بن علي بن داود . ودعا إلى نفسه بالإمامه من (هَجَرَ)
الأهْـنوم سنة ٩٨٤ هـ ، وجرت بينه وبين القوات العثمانية حروب انتهت
بأن سلم نفسه لسنان باشا في نصف رمضان سنة ٩٩٣ هـ فنفاه مع بعض
أعوانه إلى تركيا وتوفي هنالك سنة ١٠٢٤ هـ وقيل سنة ١٠٢٥ هـ .

(٢) بني يعمر : بلدة عامرة في ناحية أفلح الين بالقرب من أفلح الشام من
قضاء حجور وأعمال حجة .

في ضلالتة وحيرته بهم ، فنحن صفوة الصفوة من شجرة الأنبياء
ومشكاة الضياء ، وصلاته وسلامه على من نُصر بالرعب مسيرة
شهر ، وخص من ربه بما يَبْقَى على أعقاب الدهر .

وبعد فإن من عادتنا المشهورة ، وسجايانا المشكورة التي
تَكْسِب في الدُّنيا فخراً ، وفي الآخرة مثوبة وأجرأ إسداء العوارفِ
إلى كل تليدٍ وطارف ، وتعظيم أهل الدين والنهي ، ورفع أولي
الفضل والحجى .

ولما كان السادةُ والفقهاءُ الساكنون بهجرة (بني يَعْمَر) من
أهل العلم والفضل والدين ، وإحياء سنة المرسلين صلى الله عليه
وعلى آله الطيبين الطاهرين حَسُنَ منا أن نجعل لهم هذا الخط^(١)
الشريفَ السامي النبوي الإمامي الملاذي الملائي المالكي الغياثي
الحسني المؤيدي الهادوي !!؟ أنفذه الله شرقاً وغرباً ، ومَكَّن
بسبطته بُعْداً وقرباً شاهداً لهم بالإعزاز والإكرام والرعاية
والاحترام ، وأنهم محمولون على عادة الإنصاف والتجليل

(١) الخط : البلاغ أو المرسوم .

والاتحاف ، لا يُراعى سُرْبُهُمْ ولا يُكَدَّرُ شَرْبُهُمْ ، وأنهم من جملة شيعتنا ، ومن تحوطة شفقَتنا ، محترمون الجانب ، مُجْرُونَ على عوائدهم القديمة ، باقون على ما بأيديهم من الخطوط^(١) الشريفة الإمامية المطابقة للكتاب والسُّنة ، وأن أمر واجباتهم^(٢) إليهم يضعونها في مواضعها^(٣) الشرعية ، وأنهم مُخْرَجُونَ مما دخل فيه قبائلهم بنو أسعد بِمَجْزُور مرفوع عنهم كل المضار ، ومكفوف عنهم كل المعار^(٤) فعلى كل واحد ممن وقف على هذا المنشور الشريف من النواب والولاة والمتصرفين العملُ بمقتضى ما وضعناه ، والامتنالُ لما رسمناه ، والثقة بالله سبحانه وتعالى . فليطيبوا بذلك نفوساً وليقروا عيوناً . وعليهم الطاعةُ لله ولنا . وموالاته موالينا ، ومعاداةُ معاديننا .

(١) أي : أن هذا البلاغ أو التهجير هو تأكيد لما في أيديهم من بلاغات سابقة

صادرة عن قبله من الأئمة بتهجير (بني يعمر) .

(٢) الواجبات هنا : هي الزكاة بأنواعها .

(٣) مواضعها : مصارفها الشرعية الواردة في القرآن الكريم .

(٤) المعار : جمع معرة .

شهر الحجة الحرام سنة ٩٩٦ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .
وفي أعلى هذا التهجير علامة الإمام الناصر لدين الله
الحسن بن علي بن داود .

أرزاق العلماء وطلبة العلم :

سبقت الإشارة في ديباجة هذا البحث إلى أن القبائل قد ضمنت
لأهل العلم في هجرهم الأمن والاستقرار ، وحمتهم ، من شر كل ذي
شر ، وأوكلت إليهم أمور القضاء والفتوى والإرشاد والتعليم ،
وما يتعلق بقضايا الشرع والدين ، ووفرت لهم أيضاً أسباب
الرزق ، فقد جعلت إليهم أمر صرف زكاة أموالها في حالة عدم وجود
إمام شرعي نافذ الأمر والكلمة في مناطقها ، فكانوا ينفقون منها على
أنفسهم وعلى طلبة العلم ، وعلى الوافدين إليهم ، وما فاض عن
حاجاتهم منها فإنهم يُنفقونها في المصارف الشرعية^(١) .

أما في حالة وجود إمام حاكم نافذ الأمر مستجاب الدعوة
فإنه يلزم عمال النواحي باستلام الزكاة من الزّراع وتقلها إلى

(١) أخبرني القاضي العلامة عبد الله بن عبد الوهاب الشماحي أن القبائل
المجاورة لظفر حجة كانت تدفع الزكاة إلى والده القاضي عبد الوهاب حينما =

مخازن بيت المال ، وَيُخَصَّصُ لِأَهْلِ (هجر العلم) زكاة قرى معينة ، أو يعين لهم مقادير محدودة من الزكاة تُسَلَّمُ إليهم من أمناء مخازن الدولة ، فإذا لم يعطهم ما يقوم بكفائتهم فإن القبائل لا تبخل على من عندها من العلماء وطلبة العلم من المعونة الثابتة ، فكانت تعطيهم ما يسد حاجاتهم بأن تجعل لهم التلم^(١) العاشر .

وإذا تملك البلاد حاكم من غير الأئمة وامتد إلى مناطق القبائل التي تقع بين أظهرها الهجر . والزمهم تسليم الزكاة الواجبة عليهم كاملة إليه أو إلى ولاته وعماله فإن كثيراً من القبائل كانوا يدفعون زكاتين ، كما ذكر المؤرخ المقرئ في كتابه

= سكن الظفير لنشر العلم في تلك الهجرة . وكان طلبة العلم يقصدونه إلى حيث يوجد ، وكان يصرف من الزكاة على نفسه وعلى طلبة العلم الوافدين إليه ، وما فاض عن حاجته وحاجتهم يصرفه على مصارف الزكاة الشرعية حتى تعين الإمام أحمد بن الإمام يحيى والياً على حجة ١٣٣٩ هـ فكان يأمر باعتقال من يسلم الزكاة إلى القاضي عبد الوهاب الشماحي .

(١) التلم : الشق فإذا كان في الجريب مثلاً مئة تلم فإن مجموع التلم العاشر عشرة أتلان ، وعلى من يعطى له التلم العاشر أن يحصد زرعها لنفسه إن كان قادراً .

(مكنون السر) بقوله :

« وكان كثير منهم في غير دولة الأئمة يخرجون زكاتين : زكاة للدولة وزكاة للطلبة والمستحقين » . إذ القبائل لا تعد ما تدفعه للدولة زكاة لأنها في نظرهم غير شرعية - كما سيأتي بيان ذلك - وأن ما تدفعه لها ليس صدقة تطهرهم .

كما أن أهل الخير من القبائل وغيرهم كانوا يوقفون بعض أموالهم على بعض العلماء الذين يسكنون (هجر العلم) ويشترطون عليهم إحياءها بالدرس والتدريس ، وبعض الواقفين كان يجعل وقفه مقيداً بمن يعيش في الهجرة من العلماء والمتعلمين ، وبعضهم كان يوقف أمواله على العلماء من أولاده فقط حتى يستمر العلم فيهم ، فإذا رغب الموقوف عليه أو أبنائه أن يزرعوا الأرض الموقوفة عليهم فإن زكاة ما يحصدونه من ثمار تُصرف بنظرهم للمستحقين لها ، وكان الأئمة يجعلون أمر صرفها إليهم ، وتسمى هذه الأرض التي يزرعونها (جَبَرِيَّة) فلا يحق لأي شخص أن يطالبهم بدفع زكاتها إليه ، وكان هذا معروفاً إلى عهد قريب .

بداية ظهور (هجر العلم) في اليمن وبواعت نشأتها

لأنعرف على وجه اليقين تاريخ بداية ظهور (هجر العلم) في اليمن ، لكن بعض الهجر كانت معروفة في المئة الثالثة للهجرة ، كما ذكر ذلك المؤرخ يحيى بن الحسين في كتابه (أنباء الزمن) في أخبار سنة ٢٨٤ هـ فقد ورد في ترجمة الإمام أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عباد الدبري المتوفى سنة ٢٨٥ هـ بلفظ (هجرة دبر)^(١) وهي التي نُسب إليها ، وكان يسكنها ، وهذا الإمام هو الذي رحل إليه أحد العلماء للأخذ عنه ، وتمثل وهو في طريقه إلى اليمن - كما يروى - بالرجز المشهور :

- (١) هجرة دبر : قرية خربة معروفة المكان في وادي الفروات من سحان جنوب صنعاء على مسافة عشرين وثياف كيلو متراً منها ، ولم يبق منها غير أطلالها ومسجدها ، ويوجد في الجهة الشرقية منه بعض القبور ، منها قبر الإمام الدبري رحمه الله .

لا بدّ من صنعا وإن طال السّفَرُ

وأنه أكمله بقوله :

وتقصّدُ القاضي إلى هجرة دَبْرُ

وروى أحمد بن عبد الله الرازي المتوفى نحو ٥٠٠ هـ في كتابه (تاريخ صنعاء)^(١) ما لفظه :

« وحدثني رجلٌ من أهل صنعاء من ولد الدبّري قال : بلغني أن الحادي كان يحدو في طريق العراق وغيرها بقوله :

لا بدّ من صنعا وإن طال السّفَرُ لطيبها ، والشيخُ فيها من دَبْر

يعنون إبراهيم^(٢) بن عباد الدبّري ، كان من بلد (دَبْر) على بعد يوم من صنعاء . وقد اعتمد المؤرخ محمد بن يوسف الجَندي المتوفى بعد سنة ٧٣٣ هـ - أوفيه - في كتابه (السلوك في طبقات العلماء والملوك) في ترجمة الدبّري ، وتلاه علي بن الحسن الخزرجي المتوفى سنة ٨١٢ هـ في كتابه (طراز أعلام

(١) الرازي ، تاريخ صنعاء : ١٩٠ .

(٢) الاسم الصحيح له إسحاق بن إبراهيم بن عباد الدبّري كما تقدم بيان ذلك .

الزمن) في رواية الرّجز المذكور على مافي (تاريخ صنعاء) ،
ولكن أبا القاسم عبید الله بن أحمد بن خرداذبة المتوفى نحو سنة
٢٨٠ هـ ذكر مصرع هذا الرّجز في كتابه (المسالك والممالك)
برواية أخرى ، وهي :

لا بُد من صنعا وإن طال السّفَرُ وإن تَحَنَّى كلُّ عودٍ وانعَصَر
هذا وقد انتشرت الهجر في المناطق التي تغلب فيها المذهب
الهادوي الزيدي^(١) في نجد الين . وكانت بداية ظهور هذا

(١) النسبة الصحيحة إلى مذهب الإمام الهادي يحيى بن الحسين هي المذهب
الهادوي ، ولكنه يطلق عليه المذهب الزيدي تجوزاً لعلاقة قوية بينهما :
فالهادوية تقول بقول الإمام زيد بن علي في تفضيل علي بن أبي طالب
رضي الله عنه على سائر أصحاب رسول الله ﷺ إلا أن الأمام زيدا كان
يجوز إمامة المفضول ، ولذلك فإنه تولى الخليفتين أبا بكر وعمر رضي الله
عنهما ، وسار على سنته علماء الزيدية الأول ، بينما علماء الزيدية
المتأخرون لا يقولون بإمامة المفضول ، لذلك فقد لُقِب كثير منهم
بالرّافضة أو الجارودية ، لأن هؤلاء تناولوا الخلفاء الراشدين بالسّب مع
أن الإمام الهادي يحيى بن الحسين أمر بجلد من يسب الشيخين أبا بكر
وعمر رضي عنهما ، كما روى ذلك القاضي أحمد بن سعيد الريعاني ، قاضي
الإمام المنصور عبد الله بن حمزة ، حكى هذا العلامة المؤرخ الكبير =

المذهب على يد مؤسسه الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي الذي قدم إلى الين من الحجاز في صفر سنة ٢٨٤ هـ فدعا إلى نفسه بالإمامة ، وتلقب بالإمام الهادي ، ثم أخذ يوطد نفوذه في المناطق التي استجاب أهلها لدعوته بنشر مذهبه فيها ، وتثبيت عقائده وترسيخها ، وأهمها مسألة (الإمامة) التي جعلها هو وخلفاؤه من الأئمة بعده ركناً من أركان أصول الدين ، كما حصروها على أولاد البطينين^(١) الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وحرموها على من سواهم مهما كانت مرتبته العلمية ، وعلو منزلته ومكانته

= يحيى بن الحسين ابن الإمام القاسم في كتابه (المستطاب) قال : « وقد حكاه ابن الوزير في حاشية (الهداية) » . انتهى من (مجموع بلدان الين وقبائلها) : ٣٧٦/١ .

كذلك فإن علماء الهادوية يرون رأي الإمام زيد في وجوب الخروج على أئمة الجور وراء إمام أعلن الجهاد ، وذلك كما خرج الإمام زيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب على هشام بن عبد الملك فاستشهد سنة ١٢٢ هـ ثم خرج من بعده ابنه يحيى بن زيد فاستشهد كذلك سنة ١٢٥ هـ .

(١) هذا هو أهم شرط يجب في الإمام ، وهناك شروط أخرى مذكورة في باب السّير من كتب فقّه الزيدية سيأتي ذكرها قريباً .

الاجتماعية ، فكان إذ تولى أحد من غير العلويين حكم المناطق التي يسود فيها مذهب الإمام الهادي ، فإن هذا المذهب يوجب على علمائه وقادة الرأي من أتباعه الهجرة والالتحاق بداعيتهم من الأئمة ، إذ البقاء تحت ظل هذا الحاكم إقراراً بشرعية حكمه ، لأنه في نظر بعض علماء المذهب الزيدي باغ وكافر تأويل لاغتصابه حق غيره بتوليته للرئاسة العامة للمسلمين ، وهو ليس من أولاد السبطين ، لذلك فإنه يجب محاربته وقتله كما أفتى بذلك الإمام المنصور عبد الله بن حمزة في أرجوزته المشهورة التي ندد فيها بالإمام نشوان بن سعيد الحميري المتوفى بعد سنة ٥٧٣ هـ وأوجب قتله ، بعد اعترافه بأنه في نسبه من أرفع بيت في الين ، وأنه عالم مبرز في جميع الفنون ، وأن أحكامه كانت ماضية ، وأوامره نافذة ، لا لذنوب سوى أنه دعا إلى نفسه بالإمامة ، وهو لم يكن علوياً فاطمياً ، وذلك كما جاء في قوله :

ما قولكم في مؤمن صَوَّامٍ	مَوْحِدٍ مجتهدٍ قَوَّامٍ ؟
حَبْرٍ بكل غامضٍ عَلَّامٍ	وذكره قد شاع في الأنعام
لم يبق فنٌّ من فنون العلم	إلا وقد أَمسى له ذا فَهْمٍ

وهو إلى الدين الحنيف ينتمي
 وماله أصل إلى آل الحسن
 بل هو من أرفع بيت في الين
 ثم انبرى يدعو إلى الإمامه
 ثم أجرى بالقضا أقلامه
 وقطع السارق والمحاربا
 وقاد نحو ضده المقاتبا
 ثم بعد هذا الثناء المطابق للواقع سأل الإمام عبد الله بن
 حمزة نفسه وغيره وطلب من المخاطبين الحكم في نشوان بقوله :

ما حكمه عند ثقات الفضل ؟
 ولم يكن من معشري وأهلي
 لما تنأى أصله عن أصلي
 أهل الكساء موضع علم الرسل
 ولما كان على علم أكيد بما ستكون إجابتهم عنه فيما سأل ،
 فقد بين حكم أجداده فيه ، وهو أيضاً حكمه ، مؤكداً ذلك
 بقوله :

أمّا الذي عند جدودي فيه
 ويؤتمون ضحوة بنيه
 فيقطعون لسنه من فيه
 إذ صار حق الغير يدعيه

ولعل موافقة المطرفية للمعتزلة في جواز أن يكون الإمام من غير أبناء السبطين - وهذا المبدأ هو ما أخذ به الإمام نشوان بن سعيد الحميري وطبقه على نفسه - هو سر تقمة الإمام المنصور عبد الله بن حمزة من هذه الفرقة التي كانت من أشياعه فقام بإبادتها والقضاء على تراثها . وتدمير هجرها .

وكان إذا تعذر على العلماء والقادة من أتباع مذهب الهادي الخروج من المناطق التي شملها نفوذ الحاكم الذي لم يكن من أولاد السبطين فإن هذا المذهب يلزمهم بعدم حضور جمعة^(١) هذا الحاكم وجماعته حتى تسنح لهم الفرصة للمهاجرة ، أو تقوم معارضة قوية بقيادة إمام يطيح بذلك الحاكم ، وينتهي أمره إلى الزوال .

وهذا هو أهم أسباب نشوء (هجرة العلم) وقيامها ، ويندرج هذا الفصل تحت عنوان :

(١) من شروط صحة صلاة الجمعة عند الهادوية وجود إمام شرعي ، فإذا لم يكن موجوداً فلا يلزم إقامتها وحضورها .

١ - اختلاف عقيدة الحام عن عقيدة المحكومين :

فقد ظهر بعض المهجر حينما استولى الداعي علي بن محمد الصليحي في المئة الخامسة على حكم الين ، وشمل نفوذه جميع مخاليفها ، وكان على مذهب الإسماعيلية ، ويستمد نفوذه الروحي من المستنصر الفاطمي ، فكان أن نفر من حكمه كثير من علماء الين ، وهاجروا إلى مناطق منيعة لا تطول إليها يدُهم وأسسوا لهم فيها هجراً للفرار بعقائدهم حتى لا يُفتتنوا في دينهم ، وكان أهم (هجر العلم) التي ظهرت آنذاك (هجرة وقش) وقد بناها إبراهيم بن الهيثم ، واستمر الحال هكذا إلى أن زالت الدولة الصليحية ٤٣٩ - ٥٤٢ هـ (١٠٤٧ - ١١٣٨ م) وكذلك كان الأمر في عهد الدولة الأيوبية ٥٦٩ - ٦٢٦ هـ (١١٧٣ - ١٢٢٩ م) فإنه لما امتد نفوذهم إلى الجبال ، ولا سيما صنعاء ، هاجر منها من تمكن من الخروج من علماء الزيدية وفقهائها^(١) . وكذلك في عهد الدولة الرسولية ٦٢٦ - ٨٥٨ هـ (١٢٢٩ - ١٤٥٤ م) ثم في عهد الدولة الطاهرية ٨٥٨ - ٩٣٣ هـ

(١) كان سكان صنعاء آنذاك خليطاً من أهل السُّنة والشافعية والزيدية .

(١٤٥٤ - ١٥٢٦ م) وكان حكام هذه الدول الثلاث على مذهب الإمام الشافعي .

ثم في عهد الدولة العثمانية الأول ٩٤٥ - ١٠٤٥ هـ (١٥٣٦ - ١٦٣٥ م) ، وفي العهد الأخير ١٢٦٥ - ١٣٣٦ هـ (١٨٧٢ - ١٩١٨ م) ، ذلك لأن الدولة العثمانية كانت على مذهب الإمام أبي حنيفة ، وكانت القوانين الشرعية المعمول بها في دار السلطنة والولايات العثمانية التابعة لها على مذهب الدولة العثمانية ، كما ظهرت الهجرة في عهد الإمام المتوكل إسماعيل بن الإمام القاسم بن محمد المتوفى سنة ١٠٨٧ هـ (١٦٧٦ م) حينما جعل مدينة (ضوران) مركز قضاء أنس قاعدة حكمه ، فكان يفتد إليه كثير من علماء مذهبه فيقيمون عنده للقضاء والفتيا ، وكان يكلف بعضهم بالإقامة في بعض قرى أنس لتعميق وترسيخ مذهب الإمام الهادي . وقد تحول أهل ناحية جبل الشرق من أنس ، وأهل الحدا في عهده من المذهب الشافعي إلى المذهب الزيدي .

٢ - الخروج على الظالم :

كانت المناطق التي ينتشر فيها المذهب الزيدي يحكمها أحياناً حكام من غير أتباع هذا المذهب فيخرج أحد العلماء من تتوافر فيه شروط الإمامة^(١) على الحاكم القائم ويذهب إلى إحدى قبائل الشمال المشهورة بالقوة والمنعة فيدعو إلى نفسه بالإمامة فتتحول القرية التي نزل بها إذا طال مكثه فيها إلى (هجرة علم) بعد أن يلتحق به أعوانه ومؤيدوه وأتباعه ، ليقوموا بنشر دعوته ، وقد تدعو إحدى القبائل الكبيرة إلى ديارها عالماً مؤهلاً ليكون إماماً فيعلن دعوته منها وتؤازره بالرجال والمال .

وكان إذا دعا أحد من الأئمة إلى نفسه بالإمامة من بين أظهر القبائل لعدم تمكنه من نشر دعوته من العاصمة صنعاء لخضوعها لنفوذ حاكم آخر ، فإنه يحرص على الاتصال بمن يتوسم فيه

(١) شروط الإمامة أربعة عشر شرطاً : سبعة خلقية ، وهي أن يكون عاقلاً بالفاً ذكراً حراً ، وأن يكون علوياً فاطمياً ، سليم الحواس وسليم الأطراف . وسبعة اكتسابية وهي أن يكون عالماً مجتهداً وعدلاً سخيّاً بوضع الحقوق في مواضعها مدبراً ، أكثر رأيه الإصابة ، مقدماً حيث تجوز السلامة ، لم يتقدمه مجاب .

النصرة والمعونة له من العلماء والقادة وزعماء العشائر ومشايخ البلاد فيكتب إلى كل واحد منهم بلاغاً يخبره بأن أهل الحل والعقد قد اختاروه وبايعوه إماماً وأنه محتاج إلى مؤازرة العلماء والقادة ، ويطلب ممن يكتب إليه حثاً من لديه من العلماء على مبايعته والإسراع بالالحاق به ليقوي بهم شأنه وشوكته حتى يتمكن من التغلب على من يحكم البلاد .

ولدينا بلاغ من الإمام الهادي شرف بن محمد عَشِيش^(١) غير مؤرخ موجه إلى القاضي عبد الله^(٢) بن علي بن عبد الرحيم العنسي يحثه على الإسراع بالالحاق به ، هذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله عز وجل من قائل كريم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

(١) دعا إلى نفسه بالإمامة سنة ١٢٩٥ هـ وكانت ولادته سنة ١٢٤٥ هـ ووفاته ١٣٠٧ هـ .

(٢) مولده بدمار ، وهاجر إلى الإمام المذكور في ذي الحجة سنة ١٢٩٧ هـ ، وقد توفي في وداعة في شوال سنة ١٣٠١ هـ .

ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون ﴿١﴾ والصلاة والسلام على رسوله القائل « من سمع داعيتنا - أهل البيت - ولم يجبها كبة الله على منخره في نار جهنم ، وعلى آله الذين مشوا على منهاجه القويم ، وسلكوا صراطه المستقيم » .

وبعد .. فصدور هذه السطور ^(٢) ^(٣)

الفهامة الحبر الصمصامة فخر ولي الله ، النبراس الذكي ، الأفضل الأعمم الزكي ، الأكمل الأنبل الشيعي عبد الله بن علي العنسي سلمه الله ، وأهدى إلى مقامه الرفيع وسوحه الخصيب المريع سلاماً ، ورحمة الله وبركاته إكراماً وإجلالاً .

صدورها من بلاد الأهدوم ، والقلب من مناكر العجم ^(٤)

(١) الصّف : ١٠ ، ١١ .

(٢) كانت في الأصل مكتوبة بالصاد الصدور .

(٣) لم نتكن من قراءة الكلمات الساقطة هنا في الأصل لتأكلها فأبقينا محلها خالياً .

(٤) العجم : عساكر الدولة العثمانية .

مكّوم بعد الإعلان بالدعوة المتلقاة بالقبول وبث الرسائل
الموقظة لذوي العقول ، ووصول العلماء الأعلام من اليمن
والشام^(١) وتواردوا إلى الحضرة السادات الكرام والرؤساء الأقرام
أهل الحل والإبرام ، ودخل الجميع في طاعتنا وانتظموا في سلك
جماعتنا ، وتعقب وصول الولد العزي سيف الإسلام محمد بن
الإمام ووصول بقية إخوانه الكرام . ووقع جمع الكلمة لنا ،
وألزم العامة بامتثال أمرنا ونهينا . والمقصود رضاء الله ، وإحياء
دين الله ، والجهاد في سبيل الله وإنصاف المظلوم ، والعمل بما
يطابق مراد الحي القيوم . وحكمك أيها المرجع والسقط والمصقع
من لا يستغني عنه للمقام ، ولا يليق غفوله عن مركز الإسلام
ندعوك لبيعتنا ، والدخول تحت طاعتنا ، والوصول إلى حضرتنا
وملازمة هجرتنا . ويكون منك العناية في حث من تراه من
المؤمنين الحافظين لحدود رب العالمين فيما يجب من الإعانة لله
ولرسوله ، ولنا في الدفع والنفع للإسلام والمسلمين .

وهذا نحن في حال الحث والتحشيد ، ومن الله نستمد النصر

(١) المراد باليمن هنا جنوبه ، والشام شماله .

والتأييد ، والتوفيق والتسديد .

ولا نزيدكم تحري في المبادرة بوصولكم وتشير في حضوركم :
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تَحْشَرُونَ ، وَاتَّقُوا
فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
الْعِقَابِ ﴾^(١) .

والله يبارك فيك ويصلح شأنك ودينك ودنياك
وأخرك .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وصلى الله وسلم على محمد
 وآله .

وهذا معروض على إخوانكم المؤمنين ﴿ وَذَكَرَ فَإِنَّ الذِّكْرَ
تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وَأَنْتَ بِمَحَلِّ الْكَمَالِ^(٢) .

(١) كانت في لأصل : واعلموا أن الله سميع عليم : الأنفال ٢٤ ، ٢٥ .

(٢) أمدني بهذه الوثيقة الأخ القاضي حميد بن مطهر بن عبد الله العنسي حفيد
القاضي عبد الله العنسي الذي كانت هذه الدعوة موجهة إليه .

٣ - التنازع على سلطة الإمامة :

قد يرى أحد العلماء أنه أصلح للإمامة لاستيفائه شروطها ، وأنه أقدر على النهوض بها من الإمام القائم المترّبع على دست الحكم ، إمّا لعجزه عن القيام بأعباء هذا المنصب الكبير ، وإمّا لظهور الفساد في حكمه ، وإمّا لطمع ورغبة في الاستيلاء على الإمامة ، فيذهب هذا العالم إلى إحدى القبائل المنيعة خفية حتى لا تحبط مساعيه بعد أن يكون قد مهد السبيل بالاتصال مع رؤساء تلك القبيلة لإيوائه ومؤازرته ومبايعتهم حينما يعلن نفسه إماماً ، والوقوف إلى جانبه ، واستقبال من يلتحق به من أعوانه ومؤيديه من العلماء والرؤساء والقادة وغيرهم ، وقد لا يذهب إلى القبيلة التي وعدته بالمؤازرة إلا بعد أن يكون أصحابه وأعوانه قد ذهبوا إليها قبله ، فإذا بلغ مأمنه ، ولحق به أهله اتخذ القرية التي حطّ فيها رحاله ، وأعلن نفسه منها إماماً (هجرة) ، فإذا قوي أمره واستفحل شأنه باستجابة قبائل أخرى لدعوته فإنه يتقدم بالمحاربين من القبائل التي استجابت لدعوته للاستيلاء على مقاليد الحكم من الإمام السابق بالقوة ، إذا تغلب عليه ، وقد يُجهّز القبائل الموالية له تحت قيادة من

يثق به من أهله أو من أعوانه المخلصين ، فإذا كُتب له النجاء تحقق هدفه ، وإذا عجز عن الوصول إلى غرضه فإنه يعود إلى هجرته التي أعلن نفسه منها إماماً ليعدّ للقيام بحملة أخرى إذا استمر ولاء القبائل التي بايعته على حاله السابقة ، وإذا تخلى عنه أعوانه ومؤيدوه ، وفترت حماستهم له فإنه يقنع بالبقاء في تلك المهجرة ويشغل بالتدريس ، وينقطع للعلم إذا لم يطلب الإمام الذي انتصر عليه من القبيلة التي آوته بتسليمه إليه أو طرده من عندها ، وقد ينتقل إلى قبيلة أخرى فيوافق الإمام على بقائه فيها إذا تكفلت تلك القبيلة بأن لا تسمح له بممارسة أي نشاط سوى التدريس ، أمّا إذا ضاقت عليه السبل فقد يسعى عن طريق بعض أصدقائه للمصالحة مع الإمام ويعود مستكيناً طالباً الصفح عنه .

٤ - عزل الإمام عن منصبه :

قد يرى ذو الحل والعقد من العلماء والقادة والرؤساء أن الإمام المعترف به غير صالح لاستمراره إماماً فيتقدمون إليه لمطالبته بالتخلي عن الإمامة ، فإذا كان ضعيفاً فإنه يتخلى عنها

سُليماً ، ويعهدون إلى رجل آخر للقيام بهذا الأمر ، وإذا كان قوياً فقد يرفض التخلي عن منصبه ، ويتمسك بحقه في البقاء إماماً ، ويعد العدة لمواجهة ما يحتمل أن يحدث من حشد القبائل عليه لانتزاع الأمر منه بالقوة ، فإذا غلب على أمره ونجا من القتل فقد يطلب من الثائرين عليه السماح له بالبقاء في إحدى القرى التي يختارها لنفسه لتكون هجرة له فيقضي فيها بقية عمره بعيداً عن نفوذ الإمام الذي خلفه والذي لا يطمئن إلى سلامة حياته وحياة أهله تحت ظل حكمه ، وينقطع في هجرته للتدريس .

وقد يطلب الإمام الحاكم من القبيلة التي هجرت إحدى الشخصيات الكبيرة أن تلغي تهجيرها له إذا رأى منه عملاً يهدد وجوده كإمام أو أنه يسعى لإثارة القبائل عليه ، ومحاولة وضع مصاعب جمة في طريق استقراره وهدوئه . ومن هذا القبيل ما كتبه الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين إلى مشايخ بني صَريم من حاشد يطلب منها إلغاء تهجيرها لصالح الغرباني ، وهذا نص بلاغه :

بسم الله الرحمن الرحيم

خَدَّامَتَنَا الْكَرَامَ وَأَنْصَارَ الْحَقِّ الْفَخَامَ ، مَشَايخَ بَنِي صُرَيْمٍ
أَصْلَحَ اللَّهُ لَهُمُ الشَّأْنَ ، وَجَعَلَهُمْ مِنْ أَتْبَاعِ الْقُرْآنِ ، وَعَتَرَةَ سَيِّدِ
وَلَدِ عَدْنَانَ .

صَدُورُهَا بَعْدَ وَصُولِ كِتَابِكُمْ مِنْ شَأْنِ السَّيِّدِ صَالِحِ الْغُرَبَانِي
الَّذِي خَانَ اللَّهَ فِي عَهْدِهِ ، وَخَانَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُ بِكَذِبٍ وَعَدِهِ .

وَالْآنَ نَلْزِمُكُمْ بِظَاهِرَةِ^(١) فِي سَوْقِ خَمِرٍ^(٢) بِقَطْعِ تَهْجِيرِهِ هُوَ
وَمَنْ تَابَعَهُ عَلَى الضَّلَالِ ، وَسَيَّأَتِيكُمْ فِي شَأْنِهِ الْعِلْمُ الزَّلَالُ ، فَمَنْ
نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكَثُ عَلَى نَفْسِهِ .

بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ ، وَشَرِيفُ السَّلَامِ .

حَرَّرَ ١٧ رَمَضَانَ ١٣١٥ هـ .

(١) الظاهرة : البلاغ الذي يعلن في الأسواق ، وقد تقدم شرحه .

(٢) خَمِر : بلدة مشهورة في بني صريم من حاشد ، وهي مهجرة من حاشد
لأنها مجمعه .

وفي أعلى هذا البلاغ ختم الإمام المزبور فيه (أمير المؤمنين المنصور بالله رب العالمين) . سنة ١٣٠٧^(١) .

هـ - اضطراب الأمن وفقدانه في المدن :

كانت مدنُ الين - ولا سيما صنعاء - تتعرضُ ما بين حينٍ وآخر لهجوم القبائل عليها ومحاصرتها حينما تخلو البلادُ من حاكمٍ قوي يحفظ الأمنَ والسلام ، ويوفر الرخاء والاستقرار مما يجعلُ أكثر قبائل الشمال - لفقرها المدقع - تندفع كالجراد المنتشر فتقطعُ الطرقات ، وتغزو المدن والقرى وتنهبها وتسلبُ ما فيها فينال سكانها مضرات جسيمة من الدمار والخراب في بيوتهم وخسائر فادحة في الأنفس والأموال .

وكانت أشدُّ الكوارثُ التي تنزلُ بالعاصمة من غارات القبائل هي التي يمتطي أحدُ الطامعين في الحكم هَيْجَان هذه القبائل فيحرك فيها أطباعها ورغبتها في الانتقام ، ويسوقها أمامه ليحقق غرضه بالاستيلاء على الملك ، وما أكثر ما كان التنافسُ

(١) هذا التاريخ هو تاريخ تولي هذا الإمام للإمامة .

على الاستيلاء على صنعاء بين الطامعين في الحكم^(١) ، فكان بعض العلماء والفضلاء حينما يشتد الحصارُ بصنعاء يخرجون منها بمشقة ، ويذهبون إلى بعض القرى النائية حيث يجدون فيها الأمن والاستقرار فتتحول القرى التي يسكن فيها العلماء إلى (هجر علم) .

٦ - نشر الوعي الديني :

حينما يشتد تفشي الجهالة بأحكام الشريعة الإسلامية عبادةً ومعاملةً في مناطق القبائل في مشارق اليمن وشمالها فيرجع سكان هذه المناطق إلى التعامل بالأحكام العرفية فيحلّون أحياناً ما حرّم الله ويحرمون ما أحل الله ، فيسارع بعض العلماء إلى الهجرة إلى مساكن هذه القبائل لنشر التعليم فيهم وإرشادهم إلى معرفة الحلال والحرام امتثالاً لقول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ

(١) روى المؤرخ أحمد بن محمد الشرفي في كتابه (اللآلي المضيئة) نقلاً عن السيد صلاح بن الجلال فقال : « وكانت صنعاء وأعمالها كالخرقة الحمراء بين الأحادي ، لها في كل سنة أو شهر سلطان غالب حتى ضعف أهلها ، ثم انتجعوا إلى كل صقع ، وتوالى عليها الخراب » .

مِثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ^(١) ﴿١﴾
وتتحول القرية التي نزل بها هذا العالم إلى (هِجْرَة علم) إذا كثرت فيها طلبة العلم .

وقد تدعو بعض القبائل أحد العلماء ليسكن بين أظهرهم لنشر التعليم وتفقيه العامة بأمور دينهم ، وتولي فصل الخصومات وقسمة الموارث وتوثيق المعاملات من بيع وشراء وعقد زواج وطلاق إلى غير ذلك من الأمور التي لا بد من الرجوع فيها إلى حاكم شرعي ، وتتكفل القبيلة بتهجير مسكنه .

كذلك فإن مدن العلم وهجره كانت تستقبل في كل عام عدداً كثيراً من أبناء الريف الراغبين في طلب العلم ، ويقال لهم خلال طلبهم للعلم (مُهَاجِرِينَ) وينزلون في منازل ^(٢) ملحقة بالمساجد والجوامع ، ويجدون عوناً كبيراً من أهل الخير إذ إن طالب العلم لا بد أن يحصل من بعض أهل الخير على ما يكفيه

(١) آل عمران ١٨٧ .

(٢) المنازل : جمع منزلة ، وهي غرفة ملحقة بأحد المساجد لإقامة طالب العلم فيها .

من الخبز إذا كان محتاجاً ويسمى (الراتب) ، كما أنهم يجدون من العلماء مساعدةً عظيمةً في إعارة كتب الطلب للقراءة فيها أو للاستنساخ منها .

وكثيراً ما يعودُ من يحوزُ على قدر كبير من المعرفة إلى بلدته لنشر العلم وتدريسه امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ فلولوا نفرًا من كلِّ فرقةٍ منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ ^(١) فتتحول بلدته إلى (هجرة علم) مقصودة للأخذ عنه والاستفادة من علمه ، وفي مقدمتهم أبناء تلك القرية .

٧ - العزلة عن الناس والانقطاع للعبادة :

ظهرت في المئة الثامنة للهجرة (هِجْرٌ) خاصةً بالزهاد الذين ابتعدوا عن زخارف الدنيا ومباهجها ، وانقطعوا للعبادة ، واهتموا بالجانب الروحي في الإنسان .

وكان الزاهدُ العابدُ إبراهيم بن أحمد الكنعاني المتوفى بصعدة سنة ٧٩٣ هـ أوَّلَ من أنشأ هذا النوع من الهجر ، وحث تلاميذه

(١) التوبة ١٢٢ .

الذين سلكوا مسلكه على إنشاء هِجَرِ لهم في ديارهم مماثلة لهجرتهم ، وكان يقومُ بزيارتهم إلى هِجَرِهم كلَّ عام ، ويتعهدهم برعايته ، ومن أبرز تلاميذه الحسن بن موسى بن الحسن الأوطاني ، وكان اسم هِجَرِته : (هجرة الأوطان) في بلاد مَذْحِج ، وكذلك حسن سلمان ، وقد سميت هِجَرِته العامرة إلى اليوم في مخلاف وادي الحار من أعمال ذمار باسمه أيضاً (هجرة حسن سلمان) .

ومن الهِجَرِ التي كان يسكنها إبراهيم بن أحمد الكنعاني (هِجَرَة مَعْبَر) في جَهْرَان و (هِجَرَة عَرَام) و (هِجَرَة الْوَشَل) في وادي زُبَيْد من مخلاف زُبَيْد وأعمال ذمار .

وقد سلك هذا المسلك الإمامُ المجتهدُ محمدُ بنُ إبراهيم الوزير المتوفى سنة ٨٤٠ هـ صاحب (العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم) واعتزل الناس في آخر حياته ، وألَّف كتاباً في هذا الموضوع أسماه (أنيس الأكياس في فضل الاعتزال عن الناس)^(١) .

(١) طبع بعنوان (الأمر بالعزلة في آخر الزمان) بتحقيق الأستاذ إبراهيم باجس عبد المجيد ، ونشر في دار ابن القيم .

هذه هي أبرز بواعث ظهور (هجر العلم) في المناطق التي
ينتشر فيها المذهب الزيدي .

ولو أردنا أن نعرف منابت أشهر علماء الين المجتهدين
لوجدنا أن أبرزهم قد عاشوا في (هجر العلم) ومعاقله ، إما
وُلدوا أو عاشوا فيها أو أقاموا بها فترة من الوقت أو كل ذلك
مجتمعا .

- فهذا أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني :
لسان الين ، وهو عالم مؤرخ نسابة شاعر فلكي لغوي
نحوي ، له مشاركة تامة في كثير من المعارف الإسلامية ، وهو
صاحبُ كتاب (الإكليل) في عشرة أجزاء ، ولد في صنعاء يوم
الأربعاء ١٩ صفر سنة ٢٨٠ هـ وعاش فيها ثم أقام في صعدة ، كما
جاور في مكة فترة من الوقت ، ثم عاد وجرت له أحداث
كثيرة ، واعتقل بسبب حبه لبلاده واعتزازه بتاريخها القديم
وإشاداته بعظماؤها وزعمائها . ثم انتهى به المطاف إلى رِيْدَةِ الْبَوْنِ
في الشمال من صنعاء ، وهي من معاقل العلم الشهيرة ،

فاستوطنها وصنّف فيها كتابه (الإكليل) وغيره ، وقد توفي بها في منتصف المئة الرابعة للهجرة أو قبل ذلك تقديراً .

نشوان بن سعيد الحميري :

وهو عالم مبرز في اللغة ، والتفسير ، والنحو والصرف ، والأصول والفروع ، والتاريخ والأنساب ، وسائر فنون الآداب ، شاعر ، فحل ، قوي الحبك ، وهو صاحب كتاب (شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم) في اللغة والصرف والنبات وأسماء البلدان والأعلام وغيرها في أربع مجلدات كبيرة ، وقد عاش في (هجرة حوث) ، وربما ولد فيها ، فهو يقول عند ذكره (حوث) في موسوعته (شمس العلوم) « وبحوث كان مقام نشوان بن سعيد مصنف هذا الكتاب » . ثم قال :

بشاطئ حوثٍ من ديار بني حرب

لقلبي أشجانٌ مُعَذِّبَةٌ قلبي

وقد تنقل ودعا إلى نفسه بالإمامة ، وتملك بعض النواحي ليجمع إلى مجد العلم - وقد تحقق له منه ما يريد - مجد السلطان ، ولكنه أخفق فيه ، ولم يكتب له النجاح .

عاش آخر عمره في خولان بن عمرو من نواحي صعدة حتى
توفي بالقرب من حيدان سنة ٥٧٣ هـ .

محمد بن إبراهيم بن علي الوزير :

عالم محقق في علوم كثيرة ، مبرز في علوم الحديث ،
مجتهد ، ترك التقليد ، ونعى على علماء عصره جمودهم عليه ،
وحثهم على العمل بالكتاب والسنة ..

وهو صاحب المؤلفات الكثيرة وفي مقدمتها (العواصم
والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم)^(١) ، كان مولده في
(هجرة الظهرأوين) - وهي إحدى هجر آل الوزير - في رجب
سنة ٧٧٦ هـ ، وتوفي بصنعاء سنة ٨٤٠ هـ .

يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم :

الإمام المؤيد ، وهو عالم مجتهد ، مبرز في علوم كثيرة ،
صاحب التصانيف الكثيرة ، وفي مقدمتها (الطراز في علوم
البلاغة والإعجاز) ، و (الانتصار على علماء الأمصار في تقدير

(١) طبع في تسعة مجلدات بتحقيق الأستاذ شعيب الأرناؤوط ونشرته مؤسسة
الرسالة .

المختار من مذاهب الإئمة وأقاويل علماء الأمة في الأسرار) في ثمانية عشر جزءاً .

مولده في حوث ، وقيل بصنعاء سنة ٦٦٩ هـ ، وأقام في (هجرة حوث) ، ودعا إلى نفسه بالإمامة في شهر رجب سنة ٧٢٩ هـ ، وقيل سنة ٧٣٠ هـ ، ولم ينجح لوجود أئمة ثلاثة معارضين له ، وقد توفي بدمار في شهر رمضان سنة ٧٤٩ هـ .

أحمد بن يحيى بن المرتضى ، الإمام المهدي :

عالم محقق في علوم كثيرة ، مبرز في الفقه والأصولين . له مؤلفات كثيرة أهمها (البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار) . دعا إلى نفسه بالإمامة في صنعاء سنة ٧٩٣ هـ ، ولم يكتب له النجاح إذ تغلب عليه الإمام علي بن صلاح ، واعتقله في سجن صنعاء ، ثم استطاع الفرار منه ، وتنقل في عدد من (هجر العلم) واستقر آخر أيامه في (ظفير حجة) ، وهو في معاقل العلم المشهورة حتى توفي به سنة ٨٤٠ هـ .

صالح بن مهدي المَقْبَلِي :

عالم مبرز في علوم كثيرة ، مجتهد كبير ، نبذ التقليد ،
وعمل بأدلة الكتاب العزيز وماصحَّ لديه من صحيح السنة
النبوية .

له مؤلفات نافعة ، منها (العلم الشامخ) ، و (المنار في
المختار من جواهر البحر الزخار) ، و (الأبحاث المسددة)
وغيرها .

دَرَسَ في (هجرة ثلا) ، ولما أشتدَّ إيذاء أعداء السُّنة له باع
بيته ، وهاجر إلى مكة المكرمة فأقام هناك حتى توفي بها في
ربيع الأول سنة ١١٠٨ هـ .

الحسن بن أحمد الجلال :

عالم مجتهد ، مال إلى العمل بالسُّنة ، له مؤلفات كثيرة
أبرزها (ضوء النهار على متن الأزهار) ، مولده في (هجرة
رُغَافَة) من جماعة وأعمال صَعْدَة في رجب سنة ١٠١٤ هـ ،
وتوفي بالجرف في ضواحي صنعاء سنة ١٠٨٤ هـ .

يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم بن محمد :

عالم مجتهد ، حافظ ، محقق في علوم السُّنة ، مؤرخ . يعد
أعلم علماء آل القاسم على الإطلاق ، ترك التقليد ، وعمل
بالكتاب والسنة واشتغل بالتأليف ، وأهم مؤلفاته (أنباء الزمن
في تاريخ الين) و (طبقات الزيدية) (المستطاب) . لم
يباع عمّه الإمام المتوكل إسماعيل لأنه أنكر عليه أموراً^(١) ، كما
اعترض على القاضي أحمد بن سعد الدين المسوري برسالة سماها
(صوارم اليقين لقطع شكوك القاضي أحمد بن سعد الدين)
وجرى بينه وبين علماء عصره منافرة وخصومة لميله إلى العمل
بالكتاب وبالسنة .

مولده في (شهارة) سنة ١٠٣٥ هـ وهي من معاقل العلم
الشهيرة ، ووفاته بصنعاء سنة ١١٠٠ هـ .

محمد بن إسماعيل بن صلاح الأمير :

عالم مبرز في علوم كثيرة ، ولا سيما علوم الحديث ، فقد

(١) منها جعله الأرض التي يمتد نفوذ حكمه إليها خراجية ، وله رسالة أسماها
(إرشاد السامع إلى جواز أخذ مال الشوافع) .

انفرد في عصره برئاسته . ترك التقليد واجتهد ، واشتغل بالتأليف ، ويعد (سبل السلام شرح بلوغ المرام) لابن حجر ، و (منحة الغفار على ضوء النهار) ، و (عدة الأحكام شرح عمدة الأحكام) لابن دقيق العيد من أشهر مؤلفاته ، وقد كان له فضل كبير في نشر علوم السنة في (شهاة) وغيرها من (هجر العلم) .

مولده في (هجرة كحلان) سنة ١٠٩٩ هـ وفيها نشأ وتعلم ، ثم انتقل مع أبيه إلى صنعاء فدرس فيها إلى أن بلغ درجة الاجتهاد ، وبعد ذلك تنقل في هجر عديدة ، أبرزها شهاة وتوفي بصنعاء سنة ١١٨٢ هـ .

عبد القادر بن أحمد بن عبد القادر بن عبد الناصر : عالم محقق في فنون كثيرة ، مبرز في علوم الحديث والتفسير ، اشتغل بالتدريس في (كوكبان) ، وهو من معاقل العلم المشهورة ، كما اشتغل بالتأليف ، وله مؤلفات كثيرة ، أكثرها رسائل : انتقل إلى صنعاء ، وعاش فيها حتى توفي سنة ١٢٠٧ هـ ، وكانت ولادته في (كوكبان) سنة ١١٣٥ هـ .

مُحمَّد بن علي بن محمد الشوكاني :

الإمام المجتهد ، شيخ الإسلام ، قاضي القضاة ، نبذ التقليد بعد أن اجتهد ، وبرع في علوم السُّنة . وتصدر للتدريس في جامع صنعاء وتولى القضاء الأكبر . لثلاثة أئمة ، ومع ذلك لم ينقطع عن التدريس والتأليف ، وله مؤلفات كثيرة في التفسير والأصول وعلوم السنة ، وأبرز مؤلفاته (نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار) لابن تيمية ، و (الفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) و (السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار) ، ومولده في (هجرة شوكان) سنة ١١٧٣ هـ ، ووفاته سنة ١٢٥٠ هـ .

أسباب زوال (هجر العلم) :

على الرَّغم مما كانت تتمتع به (هجر العلم) من حصانة ومنعة بفضل حماية القبائل لها فإن بعضها لم يسلم من حوادث الزمان وكوارث الأيام ، فهذه (هجرة شوكان) قد داهمتها وحدة من الجيش العثماني في المئة الحادية عشرة للهجرة فصبّحت سكانها

يوم عيد الأضحى وهم مجتمعون لصلاة العيد في مسجدهم فلم يشعروا - كما ذكر صاحب التقصار - إلا بعسكر الأتراك على أبواب المسجد فقاتلوهم قتالاً عظيماً ، وقُتل من (الهِجْرة) جماعة وأسر آخرون من كبارهم ، وعادوا بهم إلى صنعاء بعد أن خربوا بيوت سلف الإمام الشوكاني وغيرها .

والسبب في ذلك أن سكانها كانوا يحرضون القبائل على مقاتلة الوجود العثماني في الين ومحاربتهم تأييداً لإمام عصرهم ، وذلك كما جاء في كلام الإمام الشوكاني استطراداً في ترجمته لوالده ، فقد قال : « وهذه الهجرة - هجرة شوكان - معمورة بأهل الفضل والصلاح والدين من قديم الزمان لا يخلو وجود عالم منهم في كل زمن ، ولكنه يكون تارة في بعض البطون ، وتارة في بطن أخرى ، ولهم عند سلف الأئمة جلالة عظيمة ، وفيهم رؤساء كبار ناصرُوا الأئمة ، ولا سيما في حروب الأتراك فإن لهم في ذلك اليدَ البيضاء ، وكان فيهم إذ ذاك علماء وفضلاء يُعرفون في سائر البلاد الخولانية بالقضاة . كانوا يتفرقون في القبائل ، ويدعونهم إلى الجهاد ، ويحثونهم على حرب الأتراك ، وكان من

بصنعاء من الأتراك يغزون إلى هذا المحل غزوة بعد غزوة ،
ويُخربون فيه البيوت ، ويعودون إلى صنعاء ، وغزوهم في
بعض السنين في يوم العيد ، فلم يشعروا إلا وجنود الأتراك
قائمون على أبوابه فقاتلوهم فقتل منهم جماعة ، وفر آخرون ،
وأسر الأتراك أكابرهم ، ودخلوا بهم صنعاء^(١) .

كذلك فقد أصاب (حصن ظفير حجة) وهو من هجر
العلم ومعاقله أضرار جسيمة حينما اعتصمت به قوات الإمام الهادي
شرف الدين^(٢) سنة ١٣٠٠ هـ لتتمكن من محاربة القوات العثمانية
المرابطة في مدينة حجة ، فاضطر المشير محمد عزت باشا الوالي
العثماني في الين إلى إرسال قوات من الجيش العثماني من صنعاء
بقيادة أحمد رشدي بك ، وأتبعه بقوات أخرى بقيادة رفيق
بك ، وقصفت القوات العثمانية (ظفير حجة) بعدد من قذائف
المدفعية أخرجت بعض بيوته ، ثم اقتحمت القوات أسواره ،
واستولت عليه^(٣) .

(١) الشوكاني ، البدر الطالع : ٤٨١/١ .

(٢) المتوفى في صعدة سنة ١٣٠٧ هـ .

(٣) محمد زبارة ، أئمة الين بالقرن الرابع عشر ١٨ .

ثم جرت لظفير حجة أيضاً حادثة أخرى ، فقد استولت عليه قوات الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين سنة ١٣٠٩ هـ لتجعل منه معقلاً لها ضد القوات العثمانية التي كانت في حرب مستمرة مع أتباع الإمام المذكور . وقد استطاعت القوات العثمانية أن تتنزعه منهم ، وأن تستولي عليه بعد أن أصيب بأضرار فادحة ^(١) .

كذلك فقد تحصنت قوات الإمام المذكور في (هجرة القَوَيْعَة) من ناحية الشرف الأسفل من نواحي حجة سنة ١٣١١ هـ ، وتحرشت بالقوات العثمانية المرابطة قريباً منها فردت عليها بقذائف مدافعها ، وأصلتها ناراً حامية حتى تهدمت بيوتها ، وتفرق عنها سكانها ومن اعتصم بها . وهي اليوم شبه أطلال .

وتعرضت (هجرة القارة) في ناحية جبل الشرق من قضاء آنس لحرق بعض بيوتها من قبل الجيش العثماني بعد أن

(١) المرجع نفسه : ٧١ ، ٧٢ .

أعلن الشيخ علي بن المقداد بن راجح الكنعيني^(١) عصيانه على الدولة العثمانية في الين سنة ١٣٠٨ هـ مع أنه كان من أعوانها والعاملين معها ، فانضم إليه إخوانه وبنو عمه وكثير من مشايخ ورجال أنس ، فكانوا يهاجمون القوات العثمانية ، ويقطعون عليها الطرقات والإمدادات ، فجهزت القيادة العسكرية في صنعاء حملة كبيرة لمحاربته فلم تظفر به ، ولكنها أخربت بيوته وبيوت بني عمه فكبر عليه الأمر أن تخرب بيوته وتسلم بيوت الآخرين ، وكان على صلة قوية بالإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين منذ أعلن عصيانه للدولة العثمانية ، فكلف الشيخ علي المقداد من أشاع بأن القضاة آل الغشم يميلون إلى حكم الدولة العثمانية - مع أنه لاصحة لهذا الخبر - فخشي القضاة آل الغشم على أنفسهم وبيوتهم من عقوبة الإمام المنصور ، إذ كان يرسل من ينسف بيوت من يعمل مع الدولة العثمانية بالبارود^(٢) ،

(١) المتوفى سنة ١٣٤١ هـ .

(٢) للإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين المتوفى سنة ١٣٢٢ هـ سجل مشهور في تدمير ونسف بيوت من كان يتعاون مع حكومة الدولة العثمانية في الين . وكان إذا ماعوتب على نسف البيوت بأن فيها أطفالاً =

فسارع القاضي أحمد بن مطهر الغشم وأخوه القاضي محمد بن مطهر الغشم بالسفر إلى (القفلة) مقر الإمام المنصور لمقابلته ودحض الوشاية عنهم مع أن الإمام كان يعرف أن آل الغشم لا صلة لهم بالدولة العثمانية مطلقاً . ولما قابلا الإمام ألزمهما بالبقاء عنده ، ولم يسمح لهما بالعودة إلى أنس . فبقيا على كُره ، وذهب الشيخ علي المقداد إلى (هجرة القارة) وتحصن بها ثلاث مرات سنة ١٣١٩ هـ سنة ١٣٢١ هـ وسنة ١٣٢٢ هـ فاضطرت القوات العثمانية إلى ملاحقته في كل مكان ينزل فيه ، فلما علمت بوجوده في (هجر القارة) تبعته إلى هنالك فأحرقت بيوتها ، كما أخبرني القاضي العلامة محمد ابن إسماعيل الغشم .

هذا وقد جرت قبل ذلك أحداث خطيرة لبعض (هجر العلم) أدت إلى خرابها وتدميرها ، فحينما اختلف الإمام المنصور عبد الله بن حمزة المتوفى سنة ٦١٤ هـ مع الفرقة المطرفية وهي إحدى فرق زيدية الين الملتزمة بمذهب الإمام الهادي بن يحيى

= ونساء أجاب : بأن الصغار في الجنة والكبار في النار ، كما أخبرني العلامة الزاهد حمود بن عباس المؤيد يروى ذلك عن والده الذي كان أحد من نصح هذا الإمام بعدم خراب البيوت .

الحسين في الفروع ، إلا أنها كانت كالمعتزلة ترى أن الإمامة لا يختص بها أحد دون أحد ، فأغضب ذلك الإمام عبد الله بن حمزة ، وجرد نفسه لمحاربتها والقضاء عليها ، فشن حرباً شعواء على علمائها وقادتها ، وأباد خضراءهم وقضى على تراشها ، وحكم بأن مساجدها ضارية ، كما ذكر ذلك أحمد بن عبد الله الوزير في كتابه (الفضائل) ، فأخربها كما أخرب هجرهم ، وكانت (هجرة القاعة) في مقدمة هجرهم التي أخربها وقال في ذلك :

لستُ ابنَ حمزة إن تركتُ جماعةً يتجمعون بقاعةٍ للمُنكرِ
فلأوردن البيض في أعناقهم وسنابك الخيل الجياد الضمر

وأخرب أيضاً (هجرة الهراثم) في (وداعة) لتحصن الأمير يحيى بن الإمام أحمد بن سليمان بها ضد الإمام عبد الله بن حمزة نفسه .

كذلك فقد أغار الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول بجيوشه على (حدّة) و (سناع) سنة ٦٧٢ هـ حينما كانت القوات للناوئة لحكمه تعتصم بها ، فأخربها خراباً شديداً كما ذكر الخزرجي في (العقود اللؤلؤية) وكذلك فعل في حصن (ذي

مرمر (و) حصن كوكبان (فأخربها وهي جميعاً من معقل العلم وهجره .

كما أن الإمام المنصور القاسم بن محمد أمر بهدم (ظفار الظاهر) وهدم سور (السوداء) وهدم (عيان) و (الوعلية) و (حصن كحلان) . وأمر ابنه الإمام للتوיד بهدم (حصن ذي مرمر) مرتين ، ثم عمر . وآخر ماتعرض للهدم كان على يد القوات العثمانية في مطلع القرن الرابع عشر للهجرة . وتعرضت هجرة (ضَمَد) وكانت (الذنبتين) وهي من معقل العلم قد تعرضت في المئة السادسة للهجرة لقتل علمائها من قبل علي بن المهدي الرعيني وأولاده كما أخربت (آيات حسين) على يدي الزعلين .

كما أن هنالك هجراً أخرى أصابها الخراب والدمار لأسباب مختلفة ، ولم يبق منها إلا أسماؤها مثل (هجرة أوطان) من بلاد مذحج ، ولا يعرف اليوم مكانها ، و (هجرة ذي غَبَب) من بادية دمار ، و (هجرة شَيْزَر) من خبان بالقرب من (هجرة

(الذاري) ، و (هجرة دَبَر) من مخلاف سَنحان ، ولم يبق منها إلا أطلالها وكذلك مسجدها ، كما تقدم بيان ذلك .

وذكر صاحب (المواهب السينية) في أخبار سنة ١٢٢٧ هـ أن (هجرة الطرائف) من مخلاف الشاحذية من ناحية (الطويلة) قد غُزيت من قبل جماعة من حبار وأنهم أخذوها عنوة كأنما طاف عليها طائف ، وقتل نحو تسعة رجال ونهبوا جميع ما فيها من الأموال .

ثم إن هجراً أخرى ما تزال تحملُ اسم الهجرة مع أنه لم يبق فيها من يتصفُ بالعلم ، كما لم يبق لها ولا لأهلها شيء من التهجير ، وقد صارت مثل عامة القرى الأخرى مثل : (هجرة إسبيل) ، و (هجرة حسن سلمان) ، و (هجرة عَرام) و (هجرة مُنْقَذَه) وجميعها في مخاليف ذمار ، و (هجرة قَرَوَى) من خولان ، و (هجرة الكُميم) في مخلاف الكيم من ناحية الحدا ، و (هجرة وَقْش) في بني مطر .

كذلك فإن قرية (مَدَر) من أرحب ، كانت من الهجر المشهورة

منذ ألف عام ، ولكنها اليوم لا تحمل اسم (الهجرة) ، ولم يبق فيها ما يدل على أنها كانت من مراكز العلم .

أما أغرب ما تعرضت له بعض الهجر وأنكره فهو أن ينكث بعض القبائل ما تعهدوا به من الحماية للعلماء ولمساكنهم ، وأن يكون المَهْجِرُونَ هم مصدر الشر لما هَجَّرُوهُ ، فقد ذكر يحيى بن محمد بن حسن بن حميد المقرئ في كتابه (مكنون السر في تحرير نحرير الشر) ما حدث لهجرة (بَهْمَان) ، فقال : « نعم لما أشرف علينا زمنٌ تغير فيه أهله ، وانخلعوا عن الدين ، ورفضوا الحق المستبين ، وآخوا الشيطان ، وعصوا الرسول حتى أفضى ذلك إلى هتك المحارم ، ولم يبق شيءٌ من قواعد القبائل ، قصد مَنْ قصد مَن اتصف بهذه الرذائل هتك أهل العلم وأهل الفضل وإنزالهم عن درجاتهم ، وكان من أعظم ذلك أن قصد جماعة من القبائل الكافلين لهجرة (بهمان) بيت الفقيه عماد الدين يحيى بن علي بن رفيق الله لنهبه بالليل وطلعوا البيت من عرضه ^(١) ونهبوا ما فيه ، وقتلوا الفقيه ظلماً وتعدياً وهو متوفى

(١) وطلعوا البيت من عرضه ، أي تسلقوا البيت من أحد جوانبه الخارجية .

عن نفسه وماله ، فقتل شهيداً مظلوماً في أحد شهور سنة ٩٦٢ هـ .

ومن العجيب أن القبائل من نهم وخولان الكافلين لهذه الهجرة لم يقوموا بواجبهم من الدفاع عنها في ذلك الحادث ، ولا تأروا بحجته فيما هنالك ، بعد أن كانوا يقتلون القتلى الكثيرين ، ويشورون على ما هو دون ذلك . فنسأل الله السلامة .

وكان المقرائي قد وصف (هجرة بهان) بقوله :

« وهذه الهجرة من محاسن الجهة ^(١) ، وأهلها فقهاء وفضلاء أهل معارف ، ونسأؤهم كرجالهم في الديانة وقراءة القرآن وقد نشأ منهم جماعة في هذا الزمان نرجو بلوغهم الدرجات العاليات . »

ثم قال : « وهذه الهجرة - أي هجر بهان - هجرها الأعيان ، وصرفوا فيها العناية ، وأخذوا لها الكفالات ^(٢) من

(١) المراد بالجهة : جهة وادي الشر .

(٢) الكفالات : جمع كفالة ، وهي التعهد بالحماية .

القبائل وأهل الولايات ، وأسسها أهاليهم على مقتضى حسن النيات ، ووقف لها أهل الفضل والديانات وعلى مسجدتها الوقوفات الصالحات المعتبرات ، وجعلوا مصرفها من المستحقين وأهل الطرقات حتى صارت مقصودة لجميع الإدارات .

كما وصف المؤرخ المقرئ أيضاً قبائل خولان ونهم في سياق كلامه على (هجرة الأبناء) وهي إحدى هجر وادي السر ، وأنهم أوفياء ملتزمون بطاعة علمائهم وفضلائهم فقال مشيداً بهم : « وكان أهل تلك الجهات يستحكون لعلمائها وفضلائها ، ويمتثلون لأوامرهم ونواهيهم ، ولا يقدمون إلا تبعاً لإقدامهم ، ولا يحجمون إلا تبعاً لإحجامهم حتى اهتدى أهل تلك الأزمان ، وسلك كثير منهم مجاري الشريعة المطهرة ، وتركوا ما يخالفها . وكانوا يقومون بطلبة العلم وغيرهم ، ويعينونهم بالإعانات النافعات التي تُفرِّغ قلوبهم للعلم والطاعات لتحصيل الثواب للجميع . وكان كثير منهم في غير دولة الأئمة يخرجون زكاتين : زكاة للدولة وزكاة للطلبة والمستحقين .

وكان جميع قبائل نهم وخولان مع كثرتهم واختلافهم ، لهم رؤساء وسلاطين يفيدون ويهتدون بن في هذه الأماكن ويجلّلونهم ، ويفدون عليه للتبرك والتفقه في الدين وأعمال الدنيا والآخرة ويصلونهم بالواجبات ، ويبرّونهم من خالص مالهم بأنواع البر ، وكان لهؤلاء حكمة على قبائلهم يأترون لأمرهم ، وينتهون لنهيهم ، ويقدمون بإقدامهم ويحجمون بإحجامهم . ليس على أهل السر ومن سكنه ضرر ولا عنف ولا تعد ، وكانوا لا يعاملونهم إلا معاملة مثلهم وجنسهم من سائر القبائل ، كل أمر لوجهه ، وليس أحد منهم يخالف ما أشار إليه عقالمهم^(١) فضلاً عن علمائهم وأهل الفضل منهم أو من سكن الأماكن ، فنسأل الله سبحانه أن يصلحهم ويهديهم إلى طريق النجاة وإلى طريق آبائهم وأجدادهم والأولين والمهتدين والصالحين وتُقلّب قلوبهم على ما هنالك .

ويظهر أن ما حدث لهجرة (بهمان) من الاعتداء على بيت القاضي يحيى رفيق وقتله قد حدث منه شيء ما لهجرة

(١) العقال : جمع عاقل ، وهو زعيم القرية .

(الأبناء) فقد قال المقرائي : « وكان هذا المكان الذي هو الأبناء إلى هذه الفترة من محاسن بلاد صنعاء بل من محاسن بلاد الزيدية يفد إليه الخاص والعام من جميع الأقطار والأنام حتى حدث ما حدث ، ونزل ما نزل فنسأل الله سبحانه أن يحول ما نزل بنا إلى ما ذهب علينا . »

كذلك فقد أصاب العلماء آل عقبة بعضُ الحزن ، ففي (مطلع البدور) لابن أبي الرجال في ترجمة علي بن أحمد بن محمد بن عقبة أن عقبة أشهرُ جدودهم ، وهو الملك المتأمر على صنعاء وأعمالها في بعض مدته ، وهو الذي بنى المساجد العظيمة في قرَوى موطنه ومسقط رأسه ، وكان له بها دارٌ تسمى (دار المناحل) وسط وادي قرَوى على قرية الحميرا . وانحاز عقبة إلى قرية الحميرا ليحصنها ضد عدوان بني بهلول وبني نصر حينما اعتدت عليه قبائلُ بني بهلول ونهبوا غنَمه ، كما استولى بنو نصر على دار المناحل وما حولها فتفرق أولادُه في البلاد ، فذهب بعضهم إلى أنس وسكنوا (الأريتم) من مخلاف بني خالد فصارت هجرة لهم ، وتعرف اليوم بهجرة (بني عقبة) ،

وبعضهم سار إلى هجرة (ساقين) من مخلاف خولان بن عمرو
بعد أن أقاموا في هجرة (معين) في بادية مدينة صعدة .

معاقل العلم

تنتشر معاقل العلم في سائر مناطق الين الأخرى ، وهي
التي ينتشر في أكثرها مذهب الإمام الشافعي ، وفي بعضها الآخر
مذهب الإمام أبي حنيفة ، فإن فيها قرى عديدة منبثة في سهول
البلاد وجبالها كانت مقصودة لطلب العلم بما في ذلك (ربط
العلم) التي كانت أيضاً منتشرة في كثير من مخاليف الين ، إلا
أن هذه القرى لم تكن تدعى (هجر العلم) ، وإنما تدعى
بأسمائها التي عرفت بها منذ نشأتها وتكوينها ، مع أن كثيراً من
دوافع ظهورها كمعاقل لنشر العلم يشبه إلى حد كبير - إذا
ما استثنينا الجانب السياسي الذي يتعلق بالإمامة - دوافع ظهور
(هجر العلم) .

فقد لجأ كثير من علماء الشافعية في مدينة زبيد ونواحيها

إلى قرى بعيدة متفرقة في الجبال^(١) فارين من حكم علي^(٢) بن مهدي الرُعيني الحميري الذي قتل هو وأولاده عدداً كثيراً من الناس لأنه يختلف عنهم في العقيدة .

وقد بين لنا المؤرخُ عمارةُ اليني في كتابه تاريخ الين المسمى (للمفيد في أخبار صنعاء وزيد) حقيقة أمر هذا الرجل ومعتقده لأنه كان على علم ودراية به ، فقد كانت بينهما صداقة قوية وصحبةً طويلة فقال : « وكان حنفي الفروع ، ثم أضاف إلى عقيدته في الأصول التكفير بالمعاصي والقتل بها ، وقتل من ،

(١) ومن هذه القرى قرية ذي أشرق في وادي نخلان شمال الجند بنحو عشرين كيلو متراً تقديراً ، فقد ذهب إليها عدد من العلماء الشافعية من زيد وغيرها إلا أنهم سرعان ما اختلفوا مع فقهاء ذي أشرق لأن هؤلاء شافعية الفروع حنابلة الأصول لا يتأولون المتشابه بينما كان علماء زيد وفقهاؤها شافعية الفروع أشعرية الأصول . ثم تحول علماء الشافعية في الين إلى أشعرية الأصول ، كما سيأتي بيان ذلك .

(٢) اشتهر أمره سنة ٥٣١ هـ وقد بايعه أصحابه بيعتين الأولى سنة ٥٣٨ هـ ، ولم يكتب له النجاح فيها . ثم بايعوه مرة أخرى سنة ٥٤٦ هـ ، وهناك تفصيلات أخرى عند عمارة اليني في كتابه تاريخ الين ٢٢٩ - ٢٣٧ ، وعند الديبع في قررة العيون : ٣٥٩ - ٣٧٣ ، والخزرجي في طراز أعلام الزمن .

خالف اعتقاده من أهل القبلة واستباحة الوطي لسباياهم ، واسترقاق ذراريهم ، وجعل دارهم دار حرب يحكم فيه حكمه في أهل دار الحرب »^(١) . وقال عمارة : « ولما بلغ ابن مهدي ما بلغ من القوة زحف بأتباعه على مدينة زييد فصُدَّ عن دخولها ، وكان يقتل من أصحابه عدد ما يقتل من أهل زييد ، وبعد اثنين وسبعين زحفاً على زييد واستمرار حصاره عليها نال أهلها الضرر والجوع وأكلوا الميتة من شدة الجهد والبلاء اقتحم أسوار زييد ، ودخلها يوم الجمعة الرابع عشر من رجب سنة ٥٥٤ هـ ، وأقام بها بقية رجب وشعبان وشهر رمضان ، ومات في شوال فكانت مدة ملكه شهرين وواحداً وعشرين يوماً » .

وتولى الأمر بعده ولده مهدي بن علي بن مهدي ، فامتد نفوذه إلى الجند والمخلاف فقتل فيه وفي نواحيه مقتل عظيم ، ورمى جثث غالبهم في بئر جامع الجند ، وحرق المسجد بمن فيه من الضعفاء والعجائز والعواكف والودائع والكتب والمصاحف ،

(١) عمارة اليمني ، تاريخ الين ٢٣٦ ، العرشي ، بلوغ المرام : ١٧ ، الياني ، بهجة الزمن : ٧١ .

وذلك في يوم الاثنين ١٤ شوال سنة ٥٥٨ هـ وقتل جمعاً من أهل الذنبتين^(١) بعد أن هرب بعضُ الفقهاء منها إلى ذي عَرَاض ، ثم عاد بعد هذه الحوادث البشعة إلى زبيد فتوفي أول ذي الحجة من السنة نفسها فقام أخوه عبدُ النبي بن علي بن مهدي فأخرب جامع زبيد كما أحرق ما بقي من جامع الجند ، وقتل كثيراً من علماء الشافعية ، وأغار على قرية (الذنبتين) فقتل من بقي فيها ، وخرج سنة ٥٥٩ هـ إلى جهة أَيْن فحرق أَيْن وقتل أهلها ، وخرج سنة ٤٦١ هـ إلى المخلاف السليماني ، فقاتل أهلَه فهزَمهم ، ثم لحق طائفة منهم فقتلهم ، ومنهم الأمير الكبير وهاس بن غانم ، وأخذ أمواله وسبى حريمه . وأرسل أخاه أحمد بن علي بن المهدي إلى الجند يوم الثلاثاء غرة ربيع الأول سنة ٥٦١ هـ فأحرق مدينة (الجَوَة) ، وهي من مراكز العلم القديمة لأنه يوجد بها جنود للداعي عمران بن محمد بن سبأ ، كما قام بإعادة بناء جامع الجند كما ذكر الخزرجي في (العسجد المسبوك) .

(١) الذنبتين : قرية عامرة وتقع في الغرب الشمالي من الجند ، وكانت من معاقل العلم ، وذي عَرَاض : قرية عامرة ، تقع بالقرب من الذنبتين .

هذا وقد فر القاضي طاهر^(١) بن يحيى العمراني من حكم آل مهدي الرعيني إلى الحجاز بأهله . كما أن آل مهدي الرعيني أزالوا حكم القضاة بني أبي عقامة من تهامة .

ولم ينته طغيان بني مهدي الرعيني إلا بقدم الملك المعظم شمس الدين توران شاه إلى الين سنة ٥٦٩ هـ ففضى على هذه الدولة التي دامت خمس عشرة سنة وشهرين وأربعة وعشرين يوماً بالقضاء على عبد النبي بن علي بن مهدي وأخيه أحمد^(٢) .

ولما دعا الإمام عبد الله بن حمزة إلى نفسه بالإمامة سنة ٥٩٣ هـ وتملك مدينة حجة وبعض نواحيها فر من الخلافة^(٣) الفقيه العلامة علي بن مسعود بن علي بن عبد الله السباعي الكشي مع ستين طالباً من طلابه إلى جهة (خليفة) من نواحي

(١) ستأتي ترجمته .

(٢) باخرمة ، تاريخ ثغر عدن : ١٢٧/٢ اليافعي ، مرآة الجنان : ٣٩٠/٣ في حوادث سنة ٥٦٩ والخزرجي ، المسجد المسبوك ، الديبع ، قرة العيون : ٣٥٩ - ٣٧٣ .

(٣) الخلافة : بلدة خربة كانت بجوار الشفادرة في الجنوب الغربي من حجة .

المهجم في تهامة خوفاً من بطش الإمام عبد الله بن حمزة بالعلماء من غير مذهبه واتباعهم بعد أن قضى على فرقة المطرفية ، وهي فرقة من الزيدية بايعته وأزرتة عند قيامه ، ثم اختلفت معه في مسائل فروعية اجتهادية كما جاء في (تاريخ آل الوزير) إذ ورد فيه أنها نفرت منه لأجل ما حدث منه من المخالفة للإمام الهادي في مسائل الفروع ، كما أنها كانت ترى أن الإمامة تصلح في المسلمين جميعاً فكفرها بالإلزام^(١) وأنزل بها من العذاب والهوان ما لا يخطر بالبال حتى قضى عليها ، كما تقدم بيان ذلك .

وقد ظل الفقيه علي بن مسعود في تهامة حتى بلغه وفاة الإمام عبد الله بن حمزة سنة ٦١٤ هـ ، فعاد إلى بلدته المخلافة ، واستأنف حياته العلمية ، وأقبل عليه الطلاب من أماكن شتى للأخذ عنه والانتفاع بعلمه ، وكان يحضر دروسه مئتا فقيه ، ثم ما لبث أن فر من بلده مرة أخرى حينما امتد نفوذ الإمام المهدي أحمد بن الحسين صاحب ذي بين - الذي دعا إلى نفسه بالإمامة

(١) التكفير بالإلزام هو أن تلزم غيرك على ما تقول به ما لا يقول به ، كما في تاريخ آل الوزير .

سنة ٦٤٦ هـ إلى بعض نواحي حجة ، فأقام الفقيه علي بن مسعود في بلده (أبيات حسين) في وادي سُردُد من نواحي المَهْجَم قديماً ، والزيدية حديثاً ، يدرس ويفتي حتى توفي بها سنة ٦٥٠ هـ .

كذلك فقد هاجر كثير من علماء زَبيد حينما سَنَ ملوكُ بني رسول بدعة (سُبوت النخل) وهي احتفالات تستمر أياماً من كل عام في موسم جني البُسُر والرُّطْب ، كما ذكر ذلك الرحالة ابن بطوطة في رحلته فيخرج أهلُ زَبيد رجالاً ونساءً وأطفالاً ، أفراداً وجماعات في مواكبٍ يتقدمهم الفرسان والهَجَّانَة ، ولا يبقى بمدينة زَبيد أحد من أهلها ، ولا من الغرباء ، ويقام في النخيل الرقص والغناء ، كما يخرج أهل السوق لبيع الفواكه والحلوى .

وكان سلاطينُ بني رسول وملوكهم وأُمَراءُهم ورجال دولتهم يذهبون إلى زَبيد في هذه المناسبة من كل عام ليحضروا هذه الاحتفالات . وقد بالغ ابن المجاور في كتابه (صفة بلاد اليمن) كعاداته فيما يكتب فقال - والعهدة عليه فيما تفرد به من

الحكايات التي يمكن أن تلحق بعضها بالأساطير - « فإذا فرغ النخل خرج الصغار مع الكبار والأخيار مع الفجار بالطبل بعدما يلبسوا جَمَلاً عدة تامة من الأجراس والقلاقل ، ويُشد في رقبتهم المقانع والحلي ، ويركب كل أربعة من الناس على جمل ، وناس على الشقادات يمشون إلى مسجد مشرف على ساحل البحر ، ويسمى هذا الموضع الفازة ، وينزل فيه النساء مع الرجال خليط مليط ؟؟! وهم في شرب ولعب ورقص وقصف وزائد وناقص !!؟ وما يخرج إلى هذه الأماكن إلا في كل أسبوع يومين ، ويوم الاثنين ويوم الخميس ، وإذا رجعوا من هنالك دخلوا البلد رأساً واحداً^(١) .

ولما كان سلاطين بني رسول وملوكهم يشجعون إقامة هذه الاحتفالات السنوية في مزارع النخيل على نحو يختلف عما رواه ابن المجاور فإن كثيراً من علماء زبيد هاجروا منها إلى أماكن متفرقة من جبال الين ، كما روى المؤرخ يحيى بن الحسين في كتابه (أنباء الزمن) بما لفظه : « رحل من زبيد قدر سبع مئة

(١) ابن المجاور ، صفة بلاد الين : ٨٠/١ ، ٨١ .

بيت من الفقهاء وأهل النجدة والحمة وأووا إلى الجبال كبرع
وغيره وأنكر من هاجر منهم على من تخلف منهم في زيد ،
وكتب أحدهم إلى قريب له لم يهاجر قوله :

تَجَنَّبَ عَنْ زَيْدٍ وَلَا تَطَاهَا وَلَا تَغْرُكْ يَا بَنَ أَخِي زَيْدٍ
فَفِي يَوْمِ السَّبُوتِ تَرَى مَسَاوٍ أَتَهَا يَوْمَ سَبْتِهِمُ الْيَهُودُ

كما هاجر من زيد أيضاً الشيخ الإمام أبو الربيع سليمان بن
موسى بن سليمان بن علي بن الجون الحنفي الأشعري إلى الحبشة
فأقام هناك في قرية تدعى (رون) حتى توفي بها سنة
٦٥٢ هـ ^(١) .

وقد أدى هذا الصراع المذهبي ، والخلاف العقائدي بين
الحاكمين والمحكومين إلى فرار من تمكّن من العلماء من تحت
سيطرة الحكام إلى قرى نائية بعيدة عن أيديهم ، فتحوّلت تلك
القرى لوجود العلماء بها إلى معاقل علم للدرس والتدريس اخترنا
منها عدداً قليلاً لذكرها هنا ، وهي :

(١) الخزرجي ، العقود الوُلُوية : ١١٩/١ .

أبيات حُسَيْن :

بلدةُ خربة كانت في وادي سُرْدَد من أعمال لواء الحديدة ،
ومكانها في الغرب من مدينة الزيدية بنحو ثلاثة كيلو مترات .
كانت عامرة بالعلم والعلماء منذ المئة السابعة للهجرة ، واستمرت
كذلك حتى أخرجها الزعليون سنة ٨٥٥ هـ ، ومن علمائها :

إسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله بن محمد المقرئ
الشاوري ، شرف الدين .

عالمٌ محققٌ في علوم كثيرة ، مبرزٌ في الفقه ، شاعرٌ أديبٌ .
ولد في أبيات حسين في منتصف جمادى الأولى سنة ٧٥٤ هـ
وفيها نشأ وتأدب ، ثم رحل إلى زَبيد ، فأخذ عن شيوخ العلم
بها . وقد تولى التدريس في المدرسة النظامية بها ، ثم في المدرسة
المجاهدية في تَعِز . تصدر للرد على أتباع ابن عربي في اليمن ،
وجرت بينه وبينهم خصومات شديدة ومهاترات عنيفة .

له شعرٌ رائع ، ومنه القصيدة المخلّعة التي تقرأ على ألوف

لوف من الوجوه ، كما ذكر الخزرجي في ترجمته له في (طراز
أعلام الزمن) ومطلعها :

ملكٌ سما ذو كمال زانه كرم

أغنى الورى من كريم الطبع والشم

وأما مؤلفاته فكثيرة وأعجبها كتابه (عنوان الشرف الوافي
في علم الفقه والتاريخ والنحو والعروض والقوافي) ، فياذا قرئ
على حسب سياق السطور فهو فقه ، وإذا قرئ العمود الأول
الذي يخرق الصفحة فهو تاريخ الدولة الرسولية ، والعمود
الثاني علم النحو ، وإذا قرئت أوائل السطور عموديا فهو علم
العروض ، وأواخرها علم القوافي .

توفي بزييد يوم الأحد آخر صفر ، وقيل رجب ، سنة

٨٣٧ هـ .

الحسين بن عبد الرحمن بن محمد بن علي الأهدل

الحافظ المحدث . كان من مشاهير علماء السنة ، رحل إليه
الناس للأخذ عنه بعد أن طار صيته ، وشاع ذكره . وكان له

موقف مشهور ضد أتباع ابن عربي ، وصنف كتابا سماه (كشف
الغطا عن حقائق التوحيد وعقائد الموحدين) ، فرغ من تأليفه
سنة ٨٣٠ هـ^(١) ، وله (تحفة الزمن في أعيان سادات الين) ،
وله مؤلفات كثيرة أخرى . توفي بأبيات حسين صبيحة يوم
الخميس ٩ محرم سنة ٨٥٥ هـ .

أناير

كانت إحدى قرى العوادر القديمة في مشرق الجند من أعمال
تعز ، سكنها العلماء بنو مفلّت ، ومنهم :
إبراهيم بن عيسى بن علي بن مفلّت .
عالم محقق في أصول الفقه وفروعه . درس في (المدرسة
الشقيرية) في الجند ، وبقي هنالك حتى توفي في غرة ربيع
الأول سنة ٦٩٠ هـ .

عمر بن علي بن سمرّة بن الهيثم الجعدي :
عالم محقق في الفقه ، مؤرخ . ولي القضاء في أماكن متعددة

(١) حققه الدكتور أحمد بكبر ، ونشره في مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل
سنة ١٩٦٤ .

من المخلاف ، وانتهت إليه الرئاسة في الفتوى ، ثم تولى القضاء في أبيّن ، ولعله توفي بها بعد سنة ٥٨٦ هـ . وكان مولده في أنامر سنة ٥٤٧ هـ . له : (طبقات فقهاء اليمن وعيون من أخبار سادات رؤساء الزمن ومعرفة أنسابهم ، ومعرفة أعمارهم ، ووقت وفاتهم)^(١) .

الجعامي :

قرية عامرة في عزلة (يرّيس) من ناحية حبّيش وأعمال إبّ ، ومن علمائها :

زيد بن الحسين بن محمد بن ميمون الفائشي :

عالم مبرز في القراءات والتفسير والحديث واللغة وغيرها ، انقطع للتدريس ، وكانت مدرسته في (الجعامي) ، وجمعت خزانته من كتب الفقه ما يزيد على خمس مئة كتاب . وله كتاب التهذيب في الفقه . مولده في شوال سنة ٤٥٨ هـ ووفاته في رجب سنة ٥٢٨ هـ ، وقيل سنة ٥٢٧ هـ .

(١) نشره الأستاذ فؤاد سيد سنة ١٣٧٧ (١٩٥٧) بتحقيقه وتعليقه .

الجوّة :

بلدةُ خربةٌ تحت حصن الدُّملُوة من جهة الشرق ، وهي من ناحية الصُّلو وأعمال تعز ، كانت من معاقل العلم المقصودة ، ومن سكنها :

- عبد الملك بن محمد بن ميسرة اليافعي ، الشيخ الحافظ

المحدث

كان إماماً في الحديث ، ثبتاً في النقل ، عارفاً بطرق الحديث ورواته . سكن الجوّة . واشتغل بالتدريس ونشر العلم فانتفع به كثيرون ، ثم انتقل عنها بآخرة إلى قرية (القرّين) بالحاظنة فمات يوم الاثنين ٢٣ رجب سنة ٤٩٣ هـ .

جيا

قرية عامرة كانت من معشار حصن خديد ، وهي اليوم من عزلة الصّدر من ناحية حَبِيش وأعمال إبّ . ومن درّس بها :

عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن سالم
عالمٌ محققٌ في القراءات السبع والحديث والتفسير واللغة

والفقه والأصول وغيرها . سكن جيا واشتغل بالتدريس والفتيا ، وقصده الطلاب للأخذ عنه من أماكن شتى من اليمن . مولده في بلدة (المخادر) في شوال سنة ٧٦٠ هـ ووفاته في ذي الحجة سنة ٨٣٩ هـ .

حَرَض

بلدة عامرة في تهامة شمال ثغر اللّحية ، وهي أعمال حجة . وكانت من مراكز العلم المشهورة ، ومن العلماء الذين كانوا فيها :

يحيى بن أبي بكر محمد بن يحيى العامري

عالم حافظ محدث . اشتغل بالعلم درساً وتدرّيساً وتأليفاً ، له جُملة مؤلفات ، منها :

(بهجة المحافل ، وبغية الأمثال في تلخيص المعجزات والسير والشئائل) ، و (الرياض المستطابة في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة) ، و (غربال الزمان في وفيات الأعيان) ، ويسمى (غربال الزمان المفتوح بسيرة سيد ولد عدنان) ، وقد حققه وعلق عليه ونشره القاضي عبد الرحمن بن

يحيى الإرياني سنة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م . مولده سنة ٨١٦ هـ
وقيل سنة ٨١٧ هـ ، ووفاته بحرض في العاشر من جمادى الأولى
سنة ٨٩٣ هـ .

حرف وُصاب

كان من معاقل العلم ، ولم يبق منه اليوم إلا دار وبضعة
بيوت صغيرة ، ويقع في مخلاف جَعْر من وُصاب العالي وأعمال
ذمار ، وكان يسكنه العلماء آل الحُبَيْشِي ، منهم :

- عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن عبد الله الحُبَيْشِي :
عالمٌ مبرزٌ في التفسير والحديث واللغة والأصول والفروع ،
شاعرٌ أديب ، خطيبٌ فصيح ، تولى القضاء في ناحيته ، ثم
استدعاه الملك المجاهد علي بن داود بن رسول سنة ٧٤٠ هـ
للتدريس في (المدرسة المؤيدية) بتعز فأقام بها سنة ، ثم عاد
إلى بلده ، وله (إحكام الرئاسة في آداب أهل السياسة) ،
و (الإرشاد للأمرء والعلماء والمتكسبين والعباد) . مولده يوم
الخميس سنة ٦٦٥ هـ ، وتوفي ليلة السبت ٨ جمادى الآخرة سنة
٧٨٠ هـ .

الذنبَتين

قرية عامرة مشهورة في بادية الجند من أعمال تعز. كانت من المعادل المقصودة لطلب العلم ، وكان بها كثير من العلماء ، منهم :

علي بن أحمد بن أسعد بن أبي بكر الأصبحي :

عالم محقق في فقه الإمام الشافعي ، ولم يكن له نظير في عصره ، وكان المرجوع إليه في الفتوى . استدعاه الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول ، وطلب منه أن يدرس في مدرسته (المظفرية) في تعز ، فقبل فدرس بها فترة قصيرة ، ثم عاد إلى بلده الذنبتين ، واقتطع للتدريس والتأليف . له (أسرار المهذب ، وغرائب الشرحين) ، و (شرح الرافعي والعجلى) ، و (معين أهل التقوى على التدريس والفتوى) .

مولده في ذي الحجة سنة ٦٤٤ هـ ووفاته في المحرم سنة ٧٠٣ هـ .

ذي شرق

قرية عامرة في وادي نخلان شمال الجند بنحو ٢٠ كيلو متراً تقديراً ، وهي اليوم من ناحية السياني وأعمال إب ، كانت من

القرى المزدهرة بالعلم والعلماء ، وصفها الجندي في كتابه السلوك فقال : « وهي من القرى المباركة خرج منها جمعٌ من العلماء » .
منهم :

الحسن بن إسحاق بن أبي عباد

عالمٌ مبرزٌ في النحو ، شاعرٌ أديب ، كان يُرحل إليه للأخذ عنه في علم النحو ، وكان إذا تكلم بين العامة لا يتكلف في حديثه الإعراب فعاتبه بعضُ أصحابه في ذلك ، فقال :

لعمرك ما اللَّحْنُ من شيتي ولا أنا من خطأٍ ألحْنُ
ولكن عرفت لغات الرجال فخطبتُ كلاباً يحسن
كان حياً في آخر المئة الرابعة وأوائل المئة الخامسة ، له مختصر في النحو .

ذي السُّفال

بلدةٌ عامرة في أعلى وادي ظُبا شمال الجند بنحو ٢٥ كيلو متراً تقديراً ، وهي اليوم مركزُ ناحية السُّفال من أعمال إبّ . كانت من القرى المشهورة والمقصودة لطلب العلم ، من أعلامها .

صالح بن عمر بن أبي بكر بن إسماعيل البريهي السكسكي
فقيه ، فرضي ، نحوي ، لغوي ، عارف بالحساب والجبر
والمقابلة . انتهت إليه رئاسة الفتوى في ذي السفال ، درس في
(المدرسة الفاخرية) ، من مؤلفاته : (الشافي في شرح الكافي
في الفرائض للصدفي) ، و (اللوامع في أصول الفقه) .

توفي بذي السفال ليلة الجمعة ١٣ شوال سنة ٧١٤ هـ .

ذي عُقَيْب

قرية عامرة في عزلة ورّاف من ناحية ذي جبلة وأعمال إبّ ،
كانت قرية عامرة بالعلم والعلماء ، وكانت من مساكن ملوك بني
رسول . أشهر علمائها :

عمر بن سعيد بن أبي السعود الهمداني

عالم مبرز في الفقه ، انتهت إليه رئاسة العلم بها ، مولده
سنة ٦١٠ هـ ووفاته بها في ذي الحجة سنة ٦٦٣ هـ .

رباط أثعب

قرية صغيرة من نواحي لواء البيضاء ، وكان مشهوراً في
عصر الدولة الرسولية .

رباط الأحكل

في عزلة إرياب من أعمال يريم . لا يعرف تاريخ مؤسسه ولا اسمه .

رباط باقل

في جبل حفاش شمال (الصَّفَقَيْن) مركز الناحية من أعمال المحويت ، من علمائه :

علي بن عطية بن علي بن عطية الشغدري

فقيه فرضي ، مقرئ ، نحوي لغوي ، له منظومة في القراءات السبع ، ومنظومة في النحو ، مولده ٦٥٠ هـ تقريباً ، وتوفي لبضع وعشرين وسبعمئة .

رباط البريهي

محلة صغيرة عامرة في الشرق من ذي السفال ؛ ويفصل بينهما السائلة ، وقد أسس هذا الرباط محمد بن أبي بكر البريهي فبنى له بيتاً ، ثم انتقل إليه من ذي السفال ، وبنى الرباط وأقام فيه حتى توفي سنة ٧٣٣ هـ عن ٨٢ سنة . وقد ظل هذا الرباط مقصوداً لطلب العلم حتى عهد قريب .

رباط البطاح

في زَيْد ، ولا يزال مقصوداً لطلب العلم ، ويقوم بالتدريس فيه في المدة الأخيرة العلامة أحمد بن داود البطاح .

رباط بني حسين

غير معروف المكان ولا المؤسس له .

رباط تَبَّة

في عزلة بني عواض من ناحية (بعدان) وأعمال إب . كان من المعاقل المقصودة لطلب العلم .

رباط تريم

في مدينة تريم من مخلاف حضرموت . كان من معاقل العلم المشهورة ومن أربطة العلم في زبيد الرباطان التاليان :

رباط الجامع الكبير

رباط جامع الغصين

ويقال إنه من عهد الأيوبيين ، والله أعلم .

رباط الحَبَشِي

في سيؤون من مخلاف حضرموت ، بناه علي بن محمد بن حسين الحبشي عام ١٢٩٦ هـ ، وجعله ملصقاً لمسجده الرياض . كان عالماً جليلاً ، تولى التدريس في الرباط بنفسه ، مولده سنة ١٢٥٩ هـ ووفاته سنة ١٣٣٣ هـ ، وقد درس بعده تلاميذه مثل محمد بن حامد السقاف ، ومحمد باطويح ، ثم تلاميذ تلاميذه كعبد الله عمر مولى خليله ، ومحفوظ مشعبي .

رباط الحوارة :

من عزلة مُقْنَع من مخلاف الشُّعر وأعمال إب . لا يعرف تاريخ نشأته ولا من بناه ودرّس به .

رباط الرميّتي :

في عزلة بني مِسْلَم من ناحية يريم . لا يعرف تاريخ بنائه ولا من بناه .

رباط السعيدى :

في عزلة بني سيف العالي من ناحية يريم ، وهذه العزلة اليوم من ناحية رحاب وأعمال إب .

أسسه رباطا القاضي إسماعيل بن محمد السَّعِيدِي في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري .

رباط سلطنة الزبيدية :

من أقدم الأربطة التي شيدت في حضرموت . بنته بالقاره قرب بلدة سيئون الشيخة العالمة سلطنة الزبيدية في المئة الثامنة للهجرة .

رباط الشعري :

من عزلة بني مُنَبَّه وأعمال يريم . لانعلم من أسسه ولا في أي تاريخ بُني .

رباط صالح :

في عزلة فجرة العود من مخلاف العود وأعمال النادرة ، ومن أعمال إب ، لانعرف شيئاً عن الباني ولا عن تاريخ بناءه .

رباط آل طيب :

يقع في أسفل جبال خولان بن عمرو من نواحي صعدة .

رباط علي بن يوسف بهاية :

في الربع الأعلى من مدينة زبيد ، وله رباط آخر مهجور .

رباط عمران :

في مخلاف جبل الدار من أعمال ذمار . بناه أحد جدود
المشايع بني عمران ، مشايخ جبل الدار ، وقد ورد لهم ذكر في
الدولة الرسولية .

رباط الغيثي :

في قرية المعّين في الضاحية الغربية لمدينة إب . بناه جمال
الدين بن علي بن بشر بن مطرف الهمداني الملقب بالغيثي^(١) من
أعلام المئة السابعة ، سكن المعّين ، وبنى هذا الرباط ورزق مالاً
كثيراً فاشترى المزارع المحيطة بهذه القرية وبقرية أبلان ومزارع
أخرى في الظهار والسحول ، ووقفها طعاماً للوافدين إلى رباطه ،
ولطلبة العلم ولمن يدرّس به ، وبنى لهم منازل للإقامة بها .

وقد استمر هذا الرباط مزدهراً بالعلم والعلماء من تاريخ

(١) لقب بالغيثي نسبة إلى الشيخ أبي الغيث بن جميل المتوفى سنة ٦٥١ هـ في بيت
عطا من وادي سُرْدَد في تهامة ، وكان من كبار رجال الصوفية وكان ومن سلك
طريقه من مريديه فإنه يضيف إلى لقب الغيثي انتساباً إليه في الطريقة .

تأسيسه حتى نهاية العقد السادس من المئة الرابعة عشرة للهجرة
حينما أمر الحسن بن الإمام يحيى حميد الدين حاكم إب بتحويل
أوقافه لأُمُور أُخرى فتعطل التدريس به ، ولما اعتُرض عليه أمر
باعتقال القاضي محمد بن علي الأكوع ، مدرس الرباط وبعض
طلابه مما دفعهم بتصرفه هذا إلى الانضمام إلى صفوف الأحرار
ومناوأة حكمه هو ووالده الإمام يحيى وأخوه الإمام أحمد سنة
١٣٦٣ هـ / ١٩٤٤ م .

رَباط الغَيْثِي :

في عزلة حَيْسان من مخلاف بَعْدان وأعمال إب ، لانعم من
الذي بناه ، ولا في أي تاريخ بني .

رَباط الفرحانية :

في ضاحية مدينة زبيد ، غير معروف اليوم .

رَباط القلعة :

في وسط قاع الحقل (حقل قَتَاب) أو (حقل يَحْصَب)
ما يزال عامر البناء ، ولا يعرف من الذي بناه ، ولا في أي
تاريخ بُني .

رباط الكدهية :

في الأخلود في بلاد تعز ، بناه الشيخ غلاب بن علي من أعيان أواخر المئة الثامنة وأوائل المئة التاسعة .

رباط المقارنة :

في ناحية أسلم من حجور وأعمال حجة .

رباط هيوه :

في عزلة الصفي من ناحية المخادر من أعمال إب ، لا يعرف تاريخ بنائه ولا من بناه .

رباط يحيى بن عمر الأهدل :

في مدينة زبيد ، ويقع بجوار مسجده ، وله رباط آخر في المسجد نفسه ، وهو مهجور .

الرّعاء :

إحدى قرى مخلاف (لَحْج) وتقع شمال الحوطة (مركز لحج اليوم) بنحو ثلاثة كيلو مترات أو أكثر تقريباً ، وآثارها باقية على تل بارز يسمى (كَدَمَة الرّعارع) . سكن بها بعض ولاة عدن كما قال علي بن زياد الماربي بقوله :

خلت الرعارع من بني المسعود فعهودهم عنها كغير عهودي
حلّت بها آل الزريع وإنما حلت أسودّ في مقام أسود
وقد خرج منها جماعة من العلماء والأعيان وفي مقدمتهم :

- موسى بن طارق الرعري اللّحجي ثم الجندي ثم
الزبيدي ، الإمام الحافظ ، أبو قرّة السكسي .

كان مشهوراً بالفضل والعلم ، وكان يتردد بين الجند ولحج
وزبيد ومكة . له مؤلفات في الفقه انتزعها من فقه الإمام
مالك ، والإمام أبي حنيفة ، والحافظ معمر بن راشد ، وابن
جريج ، وسفيان الثوري ، وابن عيّنة ، لأنه لقيهم جميعاً .
صنف كتابه (السنن الجامع) المشهور ورتبه على أبواب الفقه ،
كما قال الحافظ ابن حجر ، ولا يقول فيما يروي من الأحاديث :
حدثنا ، وإنما يقول : ذكر فلان . توفي بزبيد ٢٠٣ هـ .

سَهْفَنَة :

قرية عامرة تدعى اليوم (سَفَنَة) بحذف الهاء . وتقع ما بين
ذي السّفال شمالاً والقاعدة جنوباً وهي إلى القاعدة أقرب .

أبرز علمائها :

القاسم بن محمد بن عبد الله الجُمَحِي القرشي :

عالمٌ محققٌ في علوم القرآن والحديث والأصول والكلام والفقهِ ، قدم أسلافه إلى الين من مكة عند اختلاف أمرائها فسكنوا سهفة وتديروها ، وقد انتشر عن القاسم بن محمد مذهبُ الإمام الشافعي في مخلاف الجند وصنعاء وعدن وأبين ولحج ونواحٍ من إبّ وغيرها . وقصده الطلابُ - بعد أن اشتهر - من أماكن كثيرة من الين ، وكان يدرسهم في مسجدٍ بسهفة يسمى مسجد قاسم ، توفي سنة ٣٤٧ هـ بسهفة .

الشَّرْجَة :

قريةٌ خربةٌ في وادي زبيد ، وكان يقال لها : شرجة حيس للتمييز بينها وبين شرجة حرّض وينسب إليها :

عبد اللطيف بن أبي بكر عمر الشرجي ، سراج الدين :

عالمٌ مبرزٌ في النحو وفقه الحنفية ، كان يدرس النحو في (المدرسة الإصلاحية) ، والفقهِ في (المدرسة الدّحمانية) . اجتمع له كتبٌ كثيرة بعضها بخطه ، وقد ضبطها أجود ضبط على

الأمهات المنسوبة إليها . له (الاعلام بمواضع اللام) ، و (المحرر في النحو) ، و (ائتلاف النصر في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة) مطبوع .

مولده في الشرجة سنة ٧٤٧ هـ ، ووفاته سنة ٨٠٢ هـ
وقيل في المحرم سنة ٨٠٣ هـ .

عَرَّشَانِي :

قرية عامرة في عزلة المكتب من ناحية ذي جبلة وأعمال
إبّ ، وكانت من القرى المقصودة لطلب العلم . ينسب إليها :

علي بن أبي بكر بن حمير بن ثُبَّع بن يوسف بن فضل
الهمداني العرشاني :

الإمام الحافظ المحدث ، كان مبرزاً في علم الحديث متقناً
لمتنه ، عالماً بصحيحه ومعلوله ، وعارفاً برواته ، وكان يكره
الخوض في علم الكلام . اشتغل بتدريس علم الحديث في عرشان
وفي الضهابي وعدن ، فأخذ عنه خلق كثير .

مولده سنة ٤٩٤ هـ وتوفي بعرشان في ٢٠ ذي القعدة سنة ٥٥٧ هـ .

المرجاجة

قرية خربة في أسفل وادي زبيد ، ينسب إليها العلماء بنو
المرجاجي ، وهم على مذهب الإمام أبي حنيفة ، منهم :

صديق بن علي المرجاجي ، عالم محقق في فقه الحنفية .

ذهب إلى الخفاء للتدريس بها ، ثم قدم إلى صنعاء في شهر
ذي الحجة سنة ١٢٠٣ هـ ، فاجتمع بشيخ الإسلام الشوكاني ،
وأجاز كل منهما الآخر . وقال الإمام الشوكاني في (البدر
الطالع) في ترجمته : « وفي بعض المواق بمحضر جماعة وقعت
بيني وبينه مراجعة في مسائل ، وأكثر الاعتراض على مسائل
من فقه الحنفية ، وأوردت الدليل وما زال يتطلب المحامل لما
يقوله الحنفية ، فلما خلوت به قلت له : أصدقني هل ما تبديه
في المراجعة تعتقده اعتقاداً جازماً فإن مثلك في علمك بالسنة
ولا يظن به أنه يؤثر مذهبه الذي هو محض الرأي في بعض
المسائل على ما يعلمه صحيحاً ثابتاً عن رسول الله ﷺ
فقال « لا أعتقد صحة ما يخالف الدليل ، وإن قال به من قال ،
ولا أدین الله بما يقوله أبو حنيفة وأصحابه إذا خالف الحديث

الصحيح ، ولكن المرء يدافع عن مذهبه في الظاهر « !!!

مولده سنة ١١٥٠ هـ وتوفي سنة ١٢٢٩ هـ .

مَصْنَعَة سَيْر

كانت من معاقل العلم الشهيرة ، وهي اليوم خربة ، وتقع في وادي سير من مخلاف صُهَبَان وأعمال إب ، بدأ عمرائها في بداية المئة السادسة فكانت موئلاً لطلبة العلم وشيوخه ، ومعظم المدرسين والمفتين والفقهاء والمحققين ، وكان غالب تفقهم فيها ، وقد ظلت مزدهرة بالعلم إلى أن نكب بنو العمراني على يد الملك المؤيد داود بن علي بن رسول سنة ٦٩٧ هـ . وأشهر علمائها :

يحيى بن أبي الخير بن سالم العِمْراني :

إمام مبرز في الفقه وأصوله ، له مشاركة قوية في غيره من العلوم . انتهت إليه رئاسة العلم والفتوى في عصره ؛ فكان يُرحل إليه من أماكن شتى . تنقل في بعض معاقل العلم . عاش في مصنعة سَير ، ثم ذهب إلى ذي السفال ، ومنها إلى ذي اشرق فأقام بها سبع سنوات ، ثم ذهب إلى ضراس حينما زحفت جنود ابن مهدي الرعيني إلى الجند ، فأقام بها مدة ، ثم انتقل إلى ذي

السفال مرة أخرى ، فلم يلبث غير عام حتى فارق الحياة سنة ٨٥٥ هـ ودفن بها ، وكانت ولادته في مصنعة سير سنة ٤٨٩ هـ ، وقد كانت حياته كلها موزعة بين الدرس والتدريس والتأليف ، وله مؤلفات كثيرة أهمها : (البيان في فقه الشافعية) في عشرة مجلدات .

محمد بن موسى بن الحسين بن أسعد بن عبد الله العمراني عالم مبرز في الفقه ، والحديث ، والتفسير ، والنحو ، والصرف ، واللغة ، والأصول ، والفرائض ، والحساب ، والدور والجبر والمقابلة . مولده سنة ٤٩٩ هـ ، وتوفي بمصنعة سير يوم الأربعاء لسبع عشرة ليلة خلت من شعبان ، وقيل لثلاث عشرة سنة ٥٦٨ هـ .

- محمد بن أسعد بن محمد بن موسى بن الحسين بن أسعد العمراني :

القاضي بهاء الدين ، قاضي القضاة ، وزير الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول ، عالم محقق في الفقه ، خطيب ، سياسي ، شاعر أديب ، كان يحبه العلماء ويحبهم .

أول من جُمع له بين الوزارة والقضاء باليمن في عهد الملك المظفر
الرسولي ، بنى مدرسة له في مصنعة سير . مولده سنة ٦١٨ هـ
ووفاته في نصف ربيع الأول سنة ٦٩٥ هـ . وقد ترك مجموع
شعر ونثر في مجلد كبير .

الملحمة

قرية عامرة في وادي الجنات في السحول شمال شرق مدينة إب .
من علمائها :

محمد بن مضمون بن عمر بن محمد بن عمر بن أبي عمران .
عالم محقق في الفقه ، والتفسير ، والحديث ، نحوي ، لغوي ،
أصولي ، شاعر . استدعاه الملك المنصور عمر بن علي بن رسول إلى
تعز ليدرس عليه ، كما طلب منه أن يُدرّس في (مدرسته
الوزيرية) التي بناها في تعز فوافق ثم رجع إلى بلده .

مولده يوم الخميس ١٧ شعبان سنة ٥٥٩ هـ ووفاته باللمحة
في محرم سنة ٦٣٣ هـ .

موزع

بلدة عامرة من ناحية المخاء وأعمال تعز . من علمائها :

محمد بن علي بن عبد الله بن إبراهيم الخطيب :
عالم مبرز في الفقه ، والأصول ، والنحو والبيان واللغة . توفي
بموزع بعد سنة ٨٢٠ هـ . من مؤلفاته (البيان في أحكام القرآن) .

الناشرة

قرية عامرة في عزلة بني جامع في وادي مُور ، بنيت في
أول المئة الخامسة ، وإليها ينسب آل الناشري وهم علماء
مشهورون ، منهم :

- أبو بكر بن علي بن محمد بن أبي بكر الناشري
عالم محقق في الفروع والأصول ، ولي القضاء في حِس ثم
عزل نفسه ، واشتغل بالتدريس في (المدرسة السيفية) بزبيد ،
ثم في (المدرسة الشمسية) في تعز ثم في (المدرسة الصلاحية) في
قرية (السلامة) ، كما درّس مدة في (المدرسة الأفضلية) بتعز .
توفي بالسلامة في جمادى الآخرة سنة ٧٧٢ هـ .

- عثمان بن عمر بن أبي بكر بن علي بن محمد الناشري :
عالم محقق في الفقه والقراءات ، مؤرخ . تولى التدريس في

(المدرسة الظاهرية) في تعز ، ثم انتقل إلى إب فدرّس في
(المدرسة الأسدية) ، وفيها توفي سنة ٨٤٨ هـ . من آثاره
(إيضاح الدرّة المضيّة في قراءات الثلاثة الصحيحة) ،
و (البستان الزاهر في طبقات علماء بني ناشر) .

النظاري

قرية عامرة في عزلة الحرث من مخلاف بَعْدان وأعمال
إب . كانت من القرى المشهورة بالعلماء ، ينسب إليها :

- عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله النظاري ، وجيه
الدين : أحد وزراء الدولة الأشرفية ، عالمٌ محققٌ في الفقه ،
نحوي لغوي ، له شعرٌ حسن ، وترسل بليغ ، نال مكانةً عاليةً
لدى للملك الأفضل العباس بن الملك المجاهد ، فكان أول من
يدخل عليه وآخر من يخرج من عنده ، وقد ولاه شد الأوقاف
في اليمن ، ثم فصله عنها ، وولاه بعض الحصون .

فلما تولى الملك الأشرف إسماعيل بن الملك الأفضل بعد وفاة
والده أبقاه على ما كان عليه ، وقلّده أمرَ وزارته ، واختصه
بمشورته ، فنفس عليه هذه المكانة أشخاصٌ سعوا في إزاحته عن

رتبته ، وأفسدوا ما بينهما ، فأمره بالارتفاع عن بلاده ، فذهب
إلى اليمن الأعلى سنة ٧٨٣ هـ ، وبقي إلى أوائل سنة ٧٩٥ هـ ، ثم
أعطاه الأشرف الأمان فعاد إليه وأكرمه . توفي بزييد يوم الجمعة
٦ شوال سنة ٧٩٥ هـ .

محمد بن محمد بن معان النظاري ، الأمير جمال الدين :
كان من أعيان دولة الملك السلطان عامر بن عبد
الوهاب ، بنى مدرسة المَشَنَّة في إبّ وجامع بيت الفقيه . توفي
بمدينة إبّ يوم الخميس ٢٢ جمادى الأولى ٩٢١ هـ .

وَحَاظَة

مصنعة معروفة في عزلة شَبَع (شَبَاع) من ناحية حَبِيش
وأعمال إبّ . وقد سُمي بها مخلاف وحاظَة الذي يشمل كثيراً من
العُزَل من ناحية حبِيش (ذي الكَلَّاع) وهي أيضاً من ضمنه ،
نسب إليها :

أبو زكريا يحيى بن صالح الوحاظي الحمصي
المتوفى سنة ٢٢٢ هـ ، ترجم له الذهبي في تذكره الحفاظ .

عيسى بن إبراهيم بن محمد الرّبعي الكلاعي :
فقيه أديب لغويّ نحوي ، قال المؤرخ الجندي في كتابه
السلوك : كان رأس الطبقة في اللغة والمحقق لمشكلها ، وعليه
المعول في الين ، توفي بوحاظّة سنة ٤٨٠ هـ ، من آثاره (نظام
الغريب في اللغة) .

إسماعيل بن إبراهيم بن محمد الرّبعي :
عالم ، لغويّ ، شاعر ، أديب ، ذكره مُسلم اللّحجي في
أخبار الزيدية بأنّه كان مؤدّب بعض أولاد الصّليحي . توفي بعد
أخيه بأيام سنة ٤٨٠ هـ . وقد ترك (قيد الأوابد) قصيدة في
اللغة رتبها ترتيب كتاب العين ، ثم شرحها وأورد فيها نوارد
ولطائف من محاسن الأخبار والأشعار مطلعها :

أجيبوا يا ذوي التحصيل للأدّاب من يسأل
عن العيّهق والعوّهق والعنجة والعيهل

اليهاقر :

قرية عامرة من قرى الجنّد ، كانت من القرى المقصودة
لطلب العلم ، سكن بها :

- أبو بكر بن علي :

عالمٌ محققٌ في القراءات السبع . قدم إلى اليهاقر من بلده
جبل حَمَر (القَمَاعرة) فسكنها حتى توفي بها سنة ٨١٠ هـ .



هذه عينات من مراكز العلم التي شملها كتابي (هجر العلم
ومعاقله في الين)^(١) ، اخترتها لهذا البحث ، واخترت من كل
مركز ذكرته هنا عالماً أو عالِمين من ذوي المعارف الواسعة
الذين اتقطعوا للعلم درساً وتدریساً وإفتاءً وتأليفاً ، للتدليل
على ما بلغت إليه الين من ازدهار فكر علمائها ، ورقى عقولهم
في تاريخها الإسلامي ، وما أثرت أقلامهم في شتى ميادين الآداب
والفنون والمعارف والعلوم المختلفة ، فأمدت المكتبة العربية بثروة
هائلة من ذخائر المؤلفات المتعددة التي لا تحصى ، وكان
لظهورها وظهور هجر العلم أثرٌ كبيرٌ في استمرار النهضة العلمية ،
وتدفق عطائها الفكري ، وانتشار العلوم الإسلامية على مدى

(١) احتوى هذا الكتاب على ما يقرب من خمس مئة هجرة ومعقل علم ،
وسيصدر إن شاء الله قريباً بعون الله .

ألف عام وزيادة مما جعل الين لا تعرف حال ركود أو انحطاط
أو جمود أو عقم أو تخلف في الفكر ، فلقد كانت هجر العلم
ومعاقله ظهيراً قوياً وسنداً ركيناً للمدن الشهيرة التي كانت تزخر
بمدارس العلم ومعاهده ، وفي مقدمتها صنعاء فكان إذا ما حل بها
أو بغيرها من المدن بعض الكوارث التي تعصف بأمنها
واستقرارها ، فتدوي فيها حياة العلم ويصير حال المدارس فيها
كما قال دُعبل بن علي الخزاعي :

مدارس آيات خلت عن تلاوة ومنزل ذكر مقفر العرصات
فإن هجر العلم ومعاقله القائئة ، أو التي تنشأ من جديد
تأوي من يفد إليها من العلماء وطلبة العلم وتحتضنهم ، وتمدهم
بأسباب الرزق ، وتوفر لهم الأمن والحماية في أعراضهم
وعقيدتهم ، وتهيء لهم الفرص الكاملة لاستمرار نشر العلم .

كما لا يؤثر في قليل أو كثير اختفاء بعض هجر العلم ومعاقله
وزوالها من الوجود أو ضياع العلم من بعضها لما سبق أن
ذكرناه ، ذلك لأن هجراً ومعاقلاً للعلم أخرى تقوم وتنشأ من
جديد مما يجعل استمرار حياة العلم مرتبطاً بالعمى ، موصول
بالحلقات .

ولئن كانت هذه الهجر ومعاقلة العلم خيراً وبركة على الين وعلى العلم ، فإن بعض أسباب ظهورها كان نتيجة لفرار العلماء وطلبة العلم إليها ، للابتعاد عن الصراع المذهبي ، والنزاع العقائدي ، الذي سرت عدواه إلى الين ، ففرق أهل الين إلى شيع وطوائف ، وكانوا يسرون ، منذ أن أنعم الله عليهم بالإسلام ، ومنّ عليهم بهدايته للإيمان ، على ما كان عليه رسول الله ﷺ وعلى ما سار عليه صحابته من المهاجرين والأنصار ، رضي الله عنهم ، وكذلك التابعون لهم من العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فقط في أمور دينهم ودنياهم ، وكما سار عليه المسلمون في عصورهم الأولى قبل أن تتنازعهم الأهواء وتباعد بينهم المذاهب .

لقد كانت بداية الفرقة بين المسلمين حينما أخذ بعض علمائهم يجتهدون في المسائل الفقهية بحسب ما أدّى إليه فهم كل واحد منهم فأخذ عامة المسلمين يقلدون علماءهم ويلتزمون بالعمل بما اجتهدوا فيه ، وتفرقت بهم السبل ، وأخذ كل فريق يتحزب لأقوال علمائه ، ويسفه آراء علماء الآخرين ، فكان هذا

بداية ظهور المذاهب الدينية والسياسية ، وأخذ الخلاف بين أصحاب المذاهب يتعمق بعد أن صار لكل مذهب علمائه ودعاته وأتباعه ، واستقوى أصحاب كل مذهب بحكامه الذين مكّنوا له من النفوذ والسيطرة على المذاهب الأخرى ، فقويت شوكته ، فعظمت البلية بين أصحاب المذاهب الإسلامية ، إذ صار أتباع بعض المذاهب يكفّرون ويفسّقون أصحاب المذاهب الأخرى فتفرق للمسلمون ، وتمزقت وحدتهم وضعفت شوكتهم ، ودخل الدوهن في قلوبهم فتمكن أعداؤهم من التسلط عليهم وإذلالهم والتحكم في مصائرهم لأنهم صاروا غثاء كغثاء السيل .

ولم تنج الين من هذه المحنة الكبرى ، فقد ظهر فيها المذهب الإسماعيلي في العقد السابع من المئة الثالثة على يد داعيته علي^(١) بن الفضل الجدي ، والحسن^(٢) بن فرح بن حَوْشَب بن زادان الكوفي ، الذي عرف فيما بعد - عند مؤرخي الإسماعيلية - بمنصور الين . وقد أسّس في الين أول دولة للإسماعيلية ، ثم

(١) التوفي سنة ٣٠٣ هـ .

(٢) التوفي سنة ٣٠٢ هـ .

انفرد كل منها بحكم المقاطعات التي استولى عليها ، وجرت بينهما حروب ضروس ، ولم تدم هذه الدولة طويلاً ، فقد تلاشت بعد وفاتها ، ثم قامت للإسماعيليين دولة كبرى في المئة الخامسة بزعامة الداعي علي بن محمد الصليحي الذي ملك اليمن كلها ، ثم تناقضت البلاد بعد مقتله سنة ٤٥٩ هـ وخلفه ابنه الملك المكرم أحمد بن علي الصليحي .

وقدم من الحجاز إلى اليمن الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم الرّسي في صفر سنة ٢٨٤ هـ ، فدعا إلى نفسه بالإمامة وأسس مذهبه الذي عرف بالمذهب الزيدي وقد انتشر^(١) ، في البداية في محيط انتشار نفوذ حكمه في نجران وصعدة ونواحيها كما سبق بيان ذلك .

وقد تفرع من المذهب الزيدي فرقتان هما : الحسينية

(١) انتشر المذهب أكثر ما انتشر في عهد الإمام أحمد بن سليمان المتوفى سنة ٥٦٦ هـ ، وفي عهد الإمام عبد الله بن حمزة المتوفى سنة ٦١٤ هـ ، وفي عصر الإمام صلاح الدين بن علي المتوفى سنة ٩٦٥ هـ ، وفي عهد الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم المتوفى سنة ١٠٨٧ هـ .

والمطرفية ، فأما الحسينية فهي تنتسب إلى الحسين بن القاسم بن علي العياني الذي دعا إلى نفسه بالإمامة من هجرة (قاعة) بعد وفاة والده سنة ٣٩٣ هـ ، وقيل سنة ٤٠١ هـ كما في أنباء الزمن ، وتلقب بالمهدي وادعى - كما ذكر المؤرخ يحيى بن الحسين في كتابه (أنباء الزمن) في أخبار سنة ٤٠١ - أنه الذي بشر به النبي ﷺ وذكر ابن أبي الرجال في كتابه (مطلع البدور) نقلاً عن السيد صلاح بن الجلال قائلاً :

« وزعم أنه المهدي المنتظر الذي بشر به النبي ﷺ فافتتن به الناس ، وأقبلوا إليه مهرعين ، فزعم أنه أفضل من النبي ، وأن كلامه ومصنفاته ورسائله أفضل من القرآن ، وأبهر في ظهور المعنى ، وقطع كلام الخصم ، فنفر الناس عنه » . وقد انتهى أمره بأن قتله همدان في ذي عرار من البون في صفر ٤٠٤ هـ .

ولما أشيع قتله جاء أخوه جعفر بن القاسم فقال لإخوته وشيعته : إن همدان وكرنا فإن نسبنا إليهم قتله وتقمنا بالشارم يصلح ، وإن تركنا لحقنا النقص فأظهروا حياته فشاعت الفكرة عند أشياعه ، واعتقد صحتها فريق منهم .

وقد أنكر على معتقدي وجوده حياً كثيراً من العلماء ،
وقال الجعيد بن الحجاج الوادعي (صهر نشوان بن سعيد
الحميري) مفنداً هذه الدعوى الباطلة التي انخدع بها الناس :

أما الحسينُ فقد حواه الملحدُ واغتاله الزمنُ الخؤونُ الأنكدُ
فتبصروا - يا غافلين - فإنه في ذي عرار - ويحكم - مستشهدُ
وقال صارم الدين إبراهيم بن محمد الوزير في بسامته في
فساد هذا المعتقد وبطلانه :

وأنزلت ساحة المهدي قارعةً بذى عرار ، وقع الخيل لم يثر
وقال قوم : هو المهدي منتظر قلنا : كذبتم حسين غير منتظر

وقد استمر هذا المعتقد الباطل في بعض ديار الزيدية إلى
أوائل المئة الثامنة ثم اختفى .

وأما المطرفية فتنسب إلى مطرف بن شهاب بن عمرو بن
عباد الشهابي ، وهو من أعيان أواخر المئة الرابعة وأوائل المئة
الخامسة . كان أحد علماء الزيدية الكبار ، وكان على مذهب
الهادي في الفروع ، إلا أنه كان يرى أن الإمامة تصلح في

الأفضل والأعلم من المسلمين ، فلقيت دعوته هذه استجابةً عند كثير من العلماء ، وقد عرفوا بالمطرفية ، وقال يحيى بن الحسين في كتابه (أنباء الزمن) في أخبار سنة ٣٩٣ : « وكان أصولهم - أي المطرفية - تعتقد أن التأثير لله تعالى في أصول الأشياء دون فروعها على تفاصيل ذكروها غير صحيحة » .

وقد سبق في هذا البحث أن الإمام عبد الله بن حمزة قضى على هذه الفرقة في أوائل المئة السابعة ، وأخرب مساجدهم ، وأتلف تراثهم . واستنكر عليه بعض العلماء المعاصرين له ، ولاموه على ما فعل بالمطرفية بينما ترك الفرقة الحسينية ترح في معتقداتها وأوهامها الباطلة ، ولم ينكر عليهم ذلك .

وظهر المذهب المالكي في جبال وصاب ، كما ذكر الجندي في كتابه (السلوك في طبقات العلماء والملوك) فقد قال : إن علي بن محمد بن أحمد التباعي الهمداني أدرك الإمام مالك بن أنس وأخذ عنه ، وعاد بمذهبه إلى اليمن فانتشر عنه ، ولكن هذا المذهب اختفى بعد وقت قصير من ظهوره لأسباب غير معروفة ، وربما لأنه لم ينتشر كثيراً .

وكذلك ظهر المذهب الحنفي في بعض قرى وادي زبيد من تهامة ، وفي بعض أسرى في مدينة زبيد نفسها ، وفي بعض مناطق أخرى من تهامة ولا نعلم من الذي نشره في الين ، وما يزال منتشراً في وادي زبيد على قلة .

أما المذهب الشافعي فقد ظهر في الين في أوائل المئة الخامسة على يد القاسم بن محمد بن عبد الله الجمحي القرشي المتوفى بقرية (سهفنة) من نواحي ذي السفال سنة ٤٣٧ هـ ، فقد ذكر ابن سمرة في (طبقات فقهاء الين) في ترجمته فقال : وهذا الفقيه قاسم هو الذي انتشر عنه المذهب الشافعي في مخلاف الجند وصنعاء وعدن ، ومنه استفاد فقهاء هذا المذهب في هذه البلاد . وكانت مدرسته في سَهْفَنَة ، فأخذ عنه شافعية المعافر ولحج وأبين وأهل الجند والسحول وأحاطة وعنه ووادي ظبا^(١) .

وقال ابن سمرة أيضاً في معرض ذكره لبني أبي عَقَامَة : « وفضائل بني أبي عَقَامَة مشهورة ، وهم الذين نصر الله بهم

(١) ابن سمرة ، طبقات فقهاء الين . ٨٨ .

مذهب الإمام الشافعي في تهامة ، وقدماءؤهم جهروا بسم الله الرحمن الرحيم في الجمعة والجماعات « (١) .

وقد اتقسم أصحاب الإمام الشافعي إلى فريقين فالساكنون في الجبال كانوا حنابلة الأصول ، والساكنون في تهامة كانوا أشعرية الأصول والعقيدة ، وقد جرى بين الفريقين صراع مؤلم حينما لجأ بعض علماء الشافعية من زييد وغيرها إلى الجبال ، ونزلوا قرية ذي اشرق فراراً من طغيان علي بن مهدي الرعيني الحميري وأولاده فكان فقهاء ذي اشرق يكفرون فقهاء زييد (٢) ، ثم اعتنق الشافعية أصحاب الجبال أصول الأشعرية بعد مجيء مؤلفات أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المتوفى سنة ٣٢٤ هـ ، كما ذكر يحيى بن الحسين في كتابه (أنباء الزمن) في أخبار سنة ٥٦٩ بقوله : « إن بني أيوب أخرجوا معهم إلى اليمن مصنفات الأشعري وأتباعه كالغزالي وغيره فتحول أكثر أتباع الإمام الشافعي في اليمن الأسفل إلى مذهب الأشعري في الأصول

(١) المصدر نفسه : ٤ .

(٢) المصدر نفسه : ١٧٩ .

بعد أن كانوا حنابلة ، وبقي بعضهم على ما كانوا عليه « وذكره
باخرمة في (ثغر الين) في ترجمة الزكي البَيْلَقَانِي ما لفظه : وأما
اليوم فجميعهم أي علماء الين^(١) أشعرية ، ومتظاهرون بذلك
فله الحمد والمنة^(٢) .

وظهر في الين الإباضية^(٣) على يد الحُطَيْط بن عبد المجيد
الإباضي من أعيان المئة الخامسة ، حينما دعا إلى نفسه بالإمامة
من حصن الحَطَّور ، واستجاب له أهل الشرف وغيره ، كما انتشر
مذهبه أيضاً في بلاد السُّودَة . وذكر يحيى بن الحسين بن القاسم
في كتابه (أنباء الزمن) في أخبار سنة ٤٦٩ هـ ما لفظه : « وفي
شهر القعدة من هذه السنة أجمع الشرفاء والسيلاطين بحضرة
الأمير ذي الشرفين بشهارة ، وأجمع رأيهم على المخرج (الغزو)

(١) يقصد بالين هنا الين الأسفل ، وهذا معروف في الين فهم يقولون :
فلان سافر إلى الين ، ويعنون به الين الأسفل الذي يبدأ من جبل
سمارة . وهو بداية مخلاف جعفر .

(٢) يحيى بن الحسين ، أنباء الزمن : ٨٢/٢ .

(٣) المذهب الإباضي منتشر في عُمان ، وهو المذهب الرسمي لسلطنتها ،
ويوجد له أتباع في الجزائر وليبيا .

والذي أوجب ذلك ظهور الخارجي الحُطَيْط بن عبد المجيد الإباضي وأدعائه الإمامة » ، ثم قال : واجتمع إليه أهل الشرف وغيرهم ، والإمامة في اعتقادهم جائزة في جميع الناس ، وكان غرضه مناصبة الأمير ذي الشرفين فصار إليه ذو الشرفين بمن جمعه من قبائل جهته فوافاه في المحطور فاشتد القتال ، وكانت الدائرة على الخارجي .

هذا وقد انتشرت الإباضية أيضاً في شطب ، فأخرج إبراهيم بن علي الطامي المتوفى سنة ٥١٦ هـ أهلها عن الإباضية كما ورد في ترجمته في كتاب (طبقات الزيدية) لمسلم بن محمد اللحجي ، فقد ذكر أنه هو الذي أخرج أهل شطب عن مذهب الإباضية حتى رجعوا زيدية هادوية .

وانتشرت الإباضية كذلك في مخلاف حضرموت أيضاً ، واستمرت إلى المئة السادسة ، ثم تلاشت ويقال : إنه ما يزال في حضرموت بقية يسيرة تدين بهذا المذهب والله أعلم .

وهكذا نجد أن هذه المذاهب والعقائد هي التي فرقت أهل اليمن - كما فرقت سائر المسلمين في ديارهم الأخرى - إلى شيع

وطوائف ، وأنها سبب بلائهم ومحتهم وذلم ، وأن النكبات التي
حلّت بهم ، وتوالت عليهم ، فقتل بعضهم بعضاً للعصية
المقيتة ، إنما جاءت من قبل النوازع المذهبية والعقائد
السياسية .

وليس لهذه المحنة من زوال سوى نبذ التقليد والرجوع إلى
العمل بكتاب الله وما صح من كلام رسول الله ، ﷺ ، فهما
حبل الله الذي حثنا القرآن الكريم على الاعتصام به في قوله
تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله
عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ،
وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله
لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾ ^(١) .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ
رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران ٨] .

﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ رَبَّنَا

لا تجعلنا فتنةً للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز
الحكيم ﴿^(١)﴾ .

وصلى الله وسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين .
﴿ وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ﴾ ^(٢) .

(١) المتحنة ٤ - ٥ .

(٢) يونس : ١٠ .

ثبت المصادر والمراجع

- ١ - أحمد بن عبد الله الوزير (ت ٩٨٥ هـ)
- تاريخ آل الوزير المسمى (الفضائل) .
- ٢ - إسماعيل بن علي الأكوغ :
- نشوان بن سعيد الحميري والصراع الفكري والمذهبي والسياسي
في عصره . دار الكتاب الجديد ، بيروت .
- ٣ - باخرمة ، عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد .
- تاريخ ثغرايين . تحقيق المستشرق السويدي لوفغرين ،
طبع في بريل : ١٩٣٦ م .
- ٤ - ابن بطوطة .
- رحلة ابن بطوطة
- ٥ - الجندي ، محمد بن يوسف (ت ٧٣٣ هـ)
- السلوك في طبقات العلماء والملوك ، طبع بتحقيق القاضي
محمد بن علي الأكوغ .
- ٦ - الحجري محمد بن أحمد (- ١٣٨٠ هـ)

- مجموع بلدان الين وقبائلها . تحقيق وتعليق إسماعيل بن علي الأكوع .

٧- الخرجي ، علي بن حسن (- ٨١٢ هـ)

- طراز أعلام الزمن في ذكر علماء الين .

- العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات العلماء والملوك .

- العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرّسولية .

٨- الديبع ، عبد الرحمن بن علي (- ٩٤٣ هـ)

- قرّة العيون بأخبار الين الميون ، تحقيق وتعليق محمد بن علي الأكوع الحوالي .

٩- الرازي ، أحمد بن عبد الله (- ٥٠٠ هـ تقريبا)

- تاريخ صنعاء ، تحقيق وتعليق حسين عبد الله العمري وسهيل زكار .

- تاريخ الين المسمى (المفيد في أخبار صنعاء وزبيد) تحقيق وتعليق محمد بن علي الأكوع .

١٠- ابن أبي الرجال ، أحمد بن صالح (- ١٠٩٢ هـ)

- مطلع البدور وجمع البحور .

١١ - ابن سمره ، عمر بن علي

- طبقات فقهاء الين ، تحقيق فؤاد سيد .

١٢ - الشجني ، محمد بن حسن . (- ١٢٨٦ هـ)

- التقصار في جيد زمن علامة الأقاليم والأمصا .

(مطبوع) بتحقيق القاضي محمد بن علي الأكوع .

١٣ - الشرفي ، أحمد بن محمد (- ٨٥٥ هـ)

- اللآلئ المضيئة الملتقطة من اللواحق الندية في أخبار أئمة

الزيدية .

١٤ - الشوكاني ، محمد بن علي (- ١٢٥٠ هـ)

- البدر الطالع لمحسن م بعد القرن السابع .

١٥ - العرشي ، حسين بن أحمد (- ١٣٢٩ هـ)

- بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن ، تولى ملك الين من

ملك وإمام . تحقيق وتعليق القس أنستاس الكرمل .

١٦ - العنسي ، عبد الله بن زيد (- ٦٦٧ هـ)

- التمييز بين الإسلام والمطرية الطغام .

- ١٧ - الكوكباني ، حسن بن عبد الرحمن (- ١٢٦٥ هـ)
- المواهب السنية والفواكة الجنية من أغصان الشجرة المهدية المتوكلية .
- ١٨ - اللحجي ، مُسَلَّم بن محمد (- ٥٣٠ هـ)
أخبار الزيدية . (مخطوط)
- ١٩ - ابن المجاور ، يوسف بن يعقوب (- ٦٩٠ هـ)
- صفة بلاد الين المسمى (تاريخ المستبصر) تحقيق أوسكار لوفغرين .
- ٢٠ - محمد بن محمد زبارة (- ١٣٨٠ هـ)
- أئمة الين في القرن الرابع عشر .
- نزهة النظر في تراجم علماء القرن الرابع عشر ، اختصره عبد الكريم الجرافي ، وأضاف إليه تراجم أخرى .
- ٢١ - اليافعي ، عبد الله بن أسعد (- ٨٦٨ هـ)
- مرآة الجنان دائرة وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان . مطبعة دائرة المعارف النظامية ، حيدر آباد الدكن : ١٣٢٩ هـ .

٢٢ - يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد (- ١١٠٠ هـ)

- أنباء الزمن في تاريخ الين . (مخطوط)

- بهجة الزمن ذيل أنباء الزمن . (مخطوط)

- طبقات الزيدية الصغرى (المستطاب)

٢٣ - يحيى بن محمد المقرئى (- ٩٩٠ هـ)

- مكنون السّر في تحرير نحرير علماء السر . (مخطوط)

٢٤ - الينى ، عمارة

- تاريخ الين (مطبوع) بتحقيق القاضي محمد بن علي

الأكوع .

٢٥ - الينانى ، عبد الباقي بن عبد المجيد (- ٧٤٣ هـ)

- بهجة الزمن في تاريخ الين ، تحقيق مصطفى حجازي .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
معاقل العلم	١٢
الهجرة	١٧
قواعد التهجير	٢٣
عينات من قواعد التهجير	٢٦
القاعدة الأولى	٢٧
القاعدة الثانية	٣٩
القاعدة الثالثة	٤٦
القاعدة الرابعة	٤٩
القاعدة الخامسة	٥١
القاعدة السادسة	٥٤
بداية ظهور (هجر العلم) في اليمن	٦٠
أسباب زوال (هجر العلم)	٩٠
معاقل العلم	١٠٤
ثبت المصادر والمراجع	١٥٥
الفهرس	١٦٠

رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

www.moswarat.com

رَفَعُ

جيد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com